

سنة ١٤٢٥

سحائب الروح

سنان المسلماني



إهداء ٢٠٠٧

**المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث
قطر**

سَحَائِبُ الرُّوحِ

سحائب الروح / نصوص

سنان عبد الرحمن المسلماني

الطبعة العربية الأولى / ٢٠٠٣

الناشر / المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث

إدارة الثقافة والفنون - قسم الدراسات والبحوث

الدوحة - قطر - ص.ب : ٣٣٣٢

لوحة وتصميم الغلاف : الفنان سلمان المالك

خطوط / منيب القريوتي

الصف الضوئي والتنفيذ الطباعي : مطابع الدوحة الحديثة

حقوق الطبع محفوظة

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في

نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن

خطي مسبق من الناشر.

سحائبُ الروحِ

سنان المسلماني

إليك

يا سحر الماضين بلا عَوْدٍ

يا سحر الماضين بلا وَعْدٍ

حيث تختبئ النجوم

إليك في المجرات التي تحتويك

إليك في المجرات التي تحتويك أمد ألف أمنية حاملة ، مضمخة
بالتوق الممدد عرضها .

إليك أمد ما أبجل من لفظ كريم المحيا عطر الروح، عزيز
المقاصد ، جميل السجايا ، وأنثره على ثناياك ، فتستوي الرؤيا
على عرش اليوم المطعم بألف زمردة وياقوتة مؤتلفة .

أمد خلالي ، شراييني ، أطرافي ، أتوزع ، أتقسّم ، أتطاول
كما نخلة في أرضي الحزينة . تتطاول من البحر إلى السماوات ،
من السماوات إلى اليابسة ، أنا أنتشر ، أتمدّد عرض كل هذا
الأفق إليك ، فمن أنت؟ بأي شكل أو قسمات سكنت فلك اليوم
المسجّى ؟ وأي تفجر حملك إلى بوابة مجرّتي الظمأى مجردة من
هيكلك الإنساني ؟ كيف أمكنك أن تفكي مفاتيح القالب
الأسطوري ، وأن تتحرّري من الخيوط المدلاة من الغيوم الشرسة ؟

سيّدي ، نورستي ، حين أطلق أجنحتي وأفك القيد الجارح
عنها تنتفض ، تستيقظ كل الطاقة الكامنة في أرياشها ، وحين
أهزّ الطقس المراوغ حولي ، أدور به ، لا أفلته ، أقلبه رأساً على
عقب ، تتمدد كل خصلة شعر في رأسي وتتساب ، تبرق الألوان
في أثوابي وأتھياً لكي أقفز في سماء المجرة باحثاً عن الطقوس

الفالته من كتاب الهوى ، عن الحروف التي تتعقد فتكشف الأبواب
التي تخفيك .

أيتها السابحة في فضاء لا مرئي ، لماذا تتفلتين كماء مزنة
بخيلة من بين أصابعي وتتهبين الدقائق في ضياع لا يرعوي ؟
إلى أي زاوية مظلمة بهذه المجرة أرسلت أعضائك ، ألفاظك ،
هممته وموسيقى زفراتك كي تختبئ ؟

في أي كوكب أرسيت مراكبك ، أطلقت أطيارك ، نثرت ورودك
المبهجة ، وفككت عن غزلانك وأرانبك قيودها ؟

في أي فضاء أطلقت نجومك وجلست تخيطين جروحك
وأيامك وأحلامك، تفرزين الفراشات واليعاسيب والنحل ، تحدثين
النمل ألا يعبر مواطنه ويتوغل في غابات وأنهار وصباحات
جسدك ؟

في أي الصباحات المطفأة البعيدة عن عيني تحشدين جمع
اليمام واللقائق ، والنوارس ، والبجع وتلقين خطبة المحبة ،
تزركشين أفراح الطيور ، تعلمينها كيف تتقن الرقص على
البحيرات الساكنة ؟

كيف تتغنى وتلهج بطقوس المحبة ؟ تعقدين ما بين أرواحها
وتبنين أعشاشها في الغيوم السابحة على امتداد الكون ؟

في أي الصباحات تطلقين الأفراس والخيول من مكانها تنهبُ
الأراضي العشبية وتسهل مجلجلة في مدى سماواتك النعسان ،
فيشب مذعوراً نافضاً عنه ألوانه ، مازجاً أفراحه بأحزانه ، مغيراً
شكل سيمائه ؟

هذا المدى النعسان لا يتقن إلا الأحلام ، يعشق الاسترخاء وهو
باسط أعضائه ، كمن أُتخِمَ من شراب لذيذ .

يمدُّ يده كمن يستجدي التفات الوله من عينيك ، أيتها المتوجة
على كل الأزهار الوسنانة.

في أي الصباحات يفتسل النهر من أدرانه فيك ، في يديك ،
فتعشب أطرافه ، تثور مياهه ، تستعر دواماته ، تتقاذز أحياءه
منتشية بهذا الغسل العظيم ؟

إليك في المجرات التي تحتويك ، في الصباحات التي تموء في
ظلك كقطعة وادعة ، تبوح بأسرارها المفزعة ، إليك في المساءات
التي تلقي رأسها تعباً على كتفيك ، إليك والشمس تخلع عنها
ثوبها المتهاالك وتسقط مفشية عليها ، عاشقة مدلهة ، في
أحضانك تشد التمتع بدفء المساءات الحميمة .

إليك حين تسري السلاحف والقواقع مرددة أحرف اسمك ،
لاهجة بالحمد للخالق على بزوغ نجمك وعلى فيض حسنك على
اليوم وكل يوم هي بالفته .

إليكِ كل الأحرف المشوقة ، كُلُّ الصور المنثالة ، المذبوحة
قرباناً لورود طلعتكِ البهية .

إليكِ كُلُّ ما تعتليه النفس أو يعتليها أو ما تذرفه العين أو
تبصره من صور عابرة أو مقيمة مسيرة ، إليك هذه النفس ، متى
شئت هدوءها ، سكينتها ، متى شئت نزعها ، متى شئت عنفوانها ،
متى شئت .

هناك تختبئ النجوم

تحت قميصك حبيبتي المدللة ، أيتها الحورية الفزعة ، تعشش
أحلامي وانهزاماتي ، وبكائي وفرحي الذي ينتظر ميلاده .

فماذا أنت فاعلة بأحلامي الشرهة لقضم الأيام المجمدة ؟
ماذا أنت فاعلة بالنوارس العاشقة انفلات الأجنحة ،
اصطفاقها في سماء لا تغادرها الزرقة ؟

ماذا أنت فاعلة بالأمواج المقتحمة سكون اليابسة وهمودها ؟
ماذا أنت فاعلة بالأيام وهي تطوي ثوانيتها في امتداد لا
ينقطع ، وهي تتنامى متجاوزة قيودك ؟

كيف ستعودينها على السكون الذي تتقنين ، وعلى الأحلام
المعلبة والخوف المنسوج من خلايا الجسد المنزّرة كالارض البكر ؟
كيف ستقنعينها بجدوى الانتظار على حدود الصبر ؟

حبيبتي ، أيتها الحورية المستلقية على شاطئ الجزيرة
القصية ، يصلني صوتك مذبذب النبرات ، غير واضح المعالم ،
يحمل لغة التعب اللذيذ تارة والوجع النائر تارة أخرى .

ماذا تريد الألفاظ حين لا تقصح عما خبأته في جسدها ؟

ماذا تريد الألفاظ يا حوريّتي ، أنت تتسجينها ليلاً في عتمات
الشواطئ الهادرة، من قواقع ومرجان وبيض للسلاحف المطمئنة،
وبيض النوارس المهاجرة ؟

ماذا تريد الألفاظ وهي تقدّم اندفاعها لصدري وتؤخر
انهزامها إلى ما بعد رحيل القواقع المنتشية ؟
أيتها الحورية تحت قميصك تختبئ النجوم والنيازك والقواقع
والحيتان .

في ثوبك تُهرّبُ الغيمات الصغيرات الأسرار التي أخفاها
البرق حتى لا تتحوّل إلى مطر من الألفاظ ناريّ الهيئة .

أيتها الحورية المتمدّدة عرض الجزر الوسنّانة ، يتنفس الصباح
والجبال الرابضة في يومك رائحة جسدك وهي تعطر وجوه
الأشجار ، والبيوتات الخشبية ، والمراكب المستلقية في عناء على
الرمال الذهبية ، فتأتي اللقالق والنوارس بألف تحية لبزوغ نجمك
واكتمال نضجك واستوائك على عرش المحبة.

تأتي اللقالق والبجع والطيور والنوارس بالسلاسل المحتشدة
بالمحبة والألفاظ الولهة ، المزدانة بالدعوات ، القبلات والأنفاس
الرطبة لتقدّمها إليك في بلاط حضورك أيتها المتوّجة ولا ملكة
إلّاكِ .

عليّ الآن اصطياد الفراش المهوّم غريا ، واقتسام الحلم بيني وبينك .

عليّ أن أراسل الغيمات الشاردات ، أكاتبهن وأحكي لهن عنك وعن شطآنك ورمالها الناعسة .

عليّ الآن أن أعبر كل يوم هذه الصخور التي ترسم في الألفاظ المهذرة والمسفوحة عند العتبات الملكية .

عليّ الآن أن أحصي كم من الأعين ستفلت من عقالها وتجوب في أرجاء مملكتك ، والأعين التي تهوى رصد الطيور وهي ترقص أو تقبل بعضها .

كم من الأيام ستمر دون سلام ودون تحية حب ؟

كم من الأيام ستبيع تفاصيل هواك وهواي للأغراب ؟

عليّ الآن أن أبدأ بتعطير لحظاتي بصورتك المشتهاة ، بألفاظك ، بتحياتك ، بضحكاتك ، بخصامك ، بسكونك ، وأسئلتك .

عليّ الآن أن أعلم نفسي كيف تستفيق وهي تلهج بالثناء على حسنك يا حورية أيامي .

عليّ أن أفك قيود الأحلام الوادعة في أسرتها وأداعبها ، أقص

لها عن رحلاتي في مملكة عينيك ، نعيمي في مملكة شعرك ،
وأطعمها شهد حديثنا .

عليّ الآن أن أحملها مسؤولية الاحتفاظ برائحتك ، بصفات
هباتك ، بصورة ثمار حديقتك الطيبة ولغات أطيّار عينيك حين
تفرّزها ألفاظي الوالهة .

عليّ أن أرسم إشارات قلبي ساعة خفقانه وأقدمها لرسلك
الواقفين على أغصان الروح ، أن أبلغهم كم مرّة يا حوريّتي
داعبتني روحك واستثارتني صورتك، كم مرّة أضفت للصباح الذي
يجاورني بهجة إلى بهجته ، وكم مرّة تعلقت بصفائر شعرك
المرسلة في الحلم .

عليّ الآن أن أعيد كلّ رماح الأخريات ، كل الخناجر المذهبة
المسمومة المغروسة في صدري منذ زمن إليهن ، وأن أحزن على
الألفاظ المهذرة منذ بداية الخليقة في وصفهن .

عليّ الآن أن أتألم على الأزمان التي مرّت ، وأن أحلم بمحاولة
رتق الجروح التي تخلّفت من تلك الحروب .

عليّ الآن أن أعيد نصب هذا الجسد المتخن بالطعن ، أن أقيمه
ليواجه أيامه المنكسرة ، وأن يتقن لقاء الأيام القادمة بالبهجة ،
علّها تفي بما تعد .

ليتنني

ليتنني أنفذُ من الجدران إليكِ

من شجيرةٍ تتفتقُ ورداً

بهجة ، غاردينيا .

من الشوارع المشتاقة لأوجه الناس ، وأرجلهم

من واجهات الدكاكين التي تعبّرُ عنها .

من الغيم الواهب لونه للنفوس

أطلعُ من رحم الطقس

فلا أرضٌ أرْتضي

لا جيد أنعشقُ إلاك .

ليتنني نهر يحوطُ بيتك ، يتلذذُ بطعم وجهك .

ليتنني أقحوانة تتنفسُ أنفاسكِ

تتبرجُ ، إذا ما أوت إلى يديكِ

وأستراحت في سرير كرمتك

أو تعطّرت من مطر شعركِ

يا أجملَ مِنْ أجملِ حرفٍ
يا أقسى مِنْ أقسى حجرٍ
قدري أني إليك وهبت نفسي
وقدري أني نبتةٌ تحت سماءٍ
لا تمطر.

عيناك

يا أيتها المتَّوجَّةُ على عرش الأيام السابحة تجاه المجهول ،
عيناكِ بوثقةٍ من ألم مكنونٍ ، عيناكِ تغادر أفراحها ورقصها
وغناءها ، تلوذُ بالزوايا الداكنة والظلال المتشابكة كالنخيل .

عيناكِ وهجٌ ، برقٌ يستطيل ولا يتقاصرُ عن المدى المُشرعِ في
مدينتنا الرابضة .

عيناكِ تراتيلٌ تحفها غلالةٌ من ندى شفيف ، من ندى محمومٍ
يتلوى كالأفعوان .

غصةٌ بباب اليوم تكشفُ عن انهدامِ الروح ، عن تساقط
الأفراح كالأوراق الخريفية .

عيناكِ صراخٌ عَزَّ عليه السكوت في ضجيج الأيام الحبلى
بالآلام .

عيناكِ شرعٌ وسفينةٌ تغادر إلى جزر منسية ، هجرتها الطيور
والأشجار والأفتدة .

عيناكِ ما عيناكِ إلا ارتحالٌ يُلذُّ له التسيارُ ، فإلى متى يتمدد
شريان الرحيل في أفق حياتك ، إلى متى تغادر الأفراح مكانها
وتستقي الأنات ؟

عيناك، ما عيناك؟

أسرّ، نهرٌ غادر ضفّته واسترخى على شفةٍ حيرى

ليلٌ مغبون .

وأرواحٌ تبكي سريرتها حين تغادرها الشمسُ لصبحٍ مطعون .

عيناك ما عيناك ؟

أبوابٌ موصدةٌ حيناً، وجحيمٌ مكنون

ونوافذٌ مشرعةٌ حيناً على ألقِ الشفقِ المحزون

وأطيّارٌ مُفرّعةٌ ، وأعشاشٌ مُنكّشةٌ

وأتراسٌ مُثقّبةٌ ، وأسيافٌ وجنون .

عيناك ، ما عيناك ؟

صليلٌ أسئلةٍ جفلى

صهيلٌ أفراسٍ ثكلى

حداءٌ يَسْتَلْقِي في الظلِ المأفون

ودخانٌ ، ما ملّ تكثّفه في صدرٍ مسكون

وأمانٌ ، لا ، وأغانٍ في وقعٍ مسنون

فلمن تَبِكِ العَيْنُ تُرى ؟

والشَّفَّةُ مُوصِدةٌ

آياتٌ وندور

والقَلْبُ يُعَلِنُ تَفَجُّرَهُ

في صمْتٍ محرور.

فزع

يا فاتتتي ، يا توق نفسي ، يا من تتقاطر الأيام والأحلامُ
والأنفاسُ والعيونُ إليك ، لماذا تخافين الكلمات الوضيئة ؟ لماذا
تخاصمين الهوى حين ينشب أظفاره في القلوب ؟

لماذا تلوذين بالصمتِ كلما توجّعت النفس وباحت وفاضت ،
وتلجئين إلى الوعود التي لا تثمر ؟

ماذا يعني هذا الفزعُ من كلمات الحب التي أطلقها فراشات
متعبات ، ألم تفهمي من كل الكلمات الوالهة أنني أهواك منذ أن
التقت عيوننا لأول مرة ، وأنني شاغبت يومك لأطلق غيمة من
محبة ، غيمة من توق معذب ؟

آه يا ملاذي الذي يتباعد نافراً كفرس جامح وحشي ، لو
تعلمين ماذا يفعل البوحُ المذبوحُ بالواله المسكين ، حين ينز داخل
النفس فيحيل طقسها جحيماً من أسئلة لا تُطاق ، وحيرة تخنق
الروح .

برج متقلب

ضجّت أضلعي بالأسئلة الحيرى ، ضجّ الفؤاد بالكلمات
الباكية ، ما للأيام بي ؟ تعاندني وتستفزّ خطواتي ورياح غضبي .
يحيرني قلبٌ نجمك وبُرجك وهذا المزاج الذي لا يستقرُّ ،
فاخرجني من جبّتي ومن قلبي ومن عيني .

ذري طريقى لانفلاته ، ذري أصابعى تبحث عن مكان من الأشواق
في ظلمةٍ أو إشراقةٍ أخرى .

ذري أوراق حنيني تثبت في شجرة يانعة لا مיתה .
عذبني منك هذا الخيطُ الواهي الذي يربطنا ، هذا الخيطُ
الذي يأكل نفسه كلّ صباح ، يخنق الأشواق كل مساء .

فدعي طيور روحى تبني أعشاشها في المدى الفيروزيّ ، تصالح
الرياح ، تغني للشمس القادمة وللأرواح المتعبة وللبحار التي ما
تتفكّ تسحرها .

أيتها المتوجّة ولا نُعمى ، غادري مرفأ الروح ، فلربما هدأت
نفسك ، واستراحت أضلعي ، ولربّما استفاقت نفثات الحنين على
البعد في أضلعك واستحالت أعاصير شوق .

زهرة بريّة

الرُّوحُ زَهْرَةٌ بَرِّيَّةٌ
شَوْكَةٌ بِحَلْقِي نَمَتْ ، أَفْرَدْتُ لَهَا
مَفَازَةً ، عَلَّقْتُ أَيْقُونَةً
تُقَشُّ دَاخِلِي
فِي الدِّهَالِيزِ الْمُفَخَّخَةِ بِالْأَلَمِ
عَنْ وَجْهِ يَخْتَبِئُ
تَصْرُخُ ، تُشِيبُ مَخَالِبَهَا فِي أَضْغَلِي
تَجْلِدُنِي ، تَحَاكِمُنِي
أَيْنَ خَبَّاتِ الْوَجَّةِ الْمَلَكِي ؟
أَيْنَ آثَارِهِ ، كَلِمَاتِهِ
وَعُودِهِ الْوَاهِبَةِ صَفَاءِ الْمَوَدَّةِ
رَحِيقَ الزَّهْرَاتِ الْوَسْنَانَةِ
مَجْدَ الظَّلَالِ ، رِخَاءِهَا
زَهْوَ الشَّمُوسِ الْمُتَقَتَّةِ ؟

الرُّوحُ عَنَاءٌ لَا يَرْحَلُ

نافذة للريح

وديانٌ لألفِ غولٍ تترعُ حليبَ النهرِ المتفجرِ

حقلٌ من رماحٍ يرتوي من دمائي.

طلّ

باردة أنتِ الليلة كصحراءٍ سورها الصمتُ وعبثت بها الرياحُ
الغريبة ، كيامةٍ تجمّدت على شفاهها الكلمات ولذّ لها البكاء .

من أين نستحلبُ الدمعَ ، والنهرُ جمّدهُ الصقيع واحتبس المطرُ
وغادرت الشمسُ مرفأها ؟

باردة أنتِ والمحيا استحال انكساراً في جسد الليل ، ظللاً
وبومة تشهر الكآبة في وجه المكان .

غادرت ضفيرتكِ دفأها ، وعيناك نعاسهما ، واستفاق الليلُ ،
فإذا هو ماردٌ في مهجة الصحاري الهامدة ، كذئب هو ، طاب له
السكونُ فعات بين الخيام .

ما الذي يحيلك أثراً درسَ ، أو حيّة ملّت فريستها ، فاستحالت
لونا ينهشه الصمتُ ؟

تتبو عنك الأوقات ، فتستحيلُ إعصاراً وأنتِ كما أنتِ ، داليةٌ
من شمع ، وقطافٌ من فخار ، هيكَلٌ برونزيٌّ ، أو نحتٌ حجريٌّ
موسومٌ بالآلام .

باردة أنتِ ، وباردٌ هذا اليوم وحزين ، والكلمات تجلد نفسها كي
تستعذب الإحساس بالفقد .

أفلا تملين الصمت ، حين لا يكون أبلغ الكلمات ؟

أمنية

أشتاق إليك كاشتياقي إلى الأزهار والألوان والألحان المبتوثة
في الفضاء العظيم .

أشتاق إليك كاشتياقي إلى مقام عربي يضجُّ بالفرح تارةً
وبالحزن تارةً أخرى.

عيناى معلقتان ، مسمرتان أمام نوافذ بزوغك ، تفيضان حيرةً
إذا أطلت الغيابَ وتفيضان حباً وفرحاً صاخباً إذا أدمتِ الظهور .

قلبي مرفأً لأحزانك إذ تملأ الأحزانُ عينيك ، قلبي شرع
طيفك إذا أقبل يُوقّع الخطو بلحن التمني .

قلبي انتظارٌ مُجنحٌ وفرحٌ مقيدٌ لا يملُّ الإرتجاف ، والقفز فوق
أوتار العذاب .

أنا انسكابٌ رقيقٌ إذ تُقبلين .

أنا انشبالٌ شفيفٌ حين تعدُّ الليالي المقبلات ، وحين تتبلجُ
الأمانى منك كالصباح .

أعلمُ أنى سألتقيك دائماً ، سألتقي طيفك على صورة وردةٍ أو
عصفورٍ مُتعبٍ مُبتَلٍ بالأحزان ، أو حمامةٍ مقصوصةٍ الجناح

مذعورةٍ أو غيمةٍ استراحت على شباكنا ذات صباحٍ ، أو ليلةٍ عابقةٍ
الطيوب .

أعلم أني سألتقيك وإن باعدت بيننا الأسوارُ والأيامُ والوجوهُ
والأوقاتُ المثخنةُ بالجراح .

وأنني سألتقي اللغةَ التي تحكينَ والابتسامةَ التي ترسمينَ
والدمعةَ التي تسكينَ .

وأنني سألتقي الاخضرارَ الذي تزرعينَ ، والنوارسَ التي
تطلقين .

وأعلم أن الأشياءَ ستكتسي أجنحةً ملونةً كالفرّاشِ ، وتظل
ترفرف من حولي دائماً ، تشعل القلبَ كلما غفا أو تعبَ .

آهات

يا مُتَوَجَّةَ الخُطى بالأمنيات
ما حظيتِ في يومك السادرِ من خيبات
عَطَرَتْ أَيَّامَكَ الأحلامُ
واستقبلت عيناكِ الغافيتان
وهجاً ، حنيناً ندياً، سراباً، رَغباتُ.
يا متوجة الخُطى بالخيباتُ
سلام على النفس المستكينة
سلام على النفس الحزينة
وطوبى للمسراتِ العابراتِ صيفكِ القاحل
طوبى للأحاسيس القانتات.
كم خَضَبَ المدى المجنون منكِ خيالَ شرودٍ
وأسرى في الليالي المتعباتُ.
كَمْ رَقَّ لِلْمَحْرُورِ وَرْدٌ زَلالٌ
فَتَرَنَمَ اليومُ واخضَلَّتْ الآهاتُ.
يا متوجة الخُطى بالخيبات

هل يعرف الصبحُ ملاذَ المنى، ورقصةَ المذبوحِ على العتباتُ؟

هل يفهمُ الصبحُ بوحَ الندى

وإطلالَ الأسى من العبرات؟

وَهَنٌ

ليت أني ما كشفت ستر الليالي ما أبحت ألفاظي وخلالي
وروحى في مذبح تقلباتك ، ما تركت نفسي أسيراً لجنونك أنت يا
واهبة الألم العظيم.

كم من الأوجاع خلّفت ، أتعلمين ؟

كم من الخيبات رسمت على وجهي ، بصدري ، أتعلمين ؟
حين أتحسس الجراح التي لم تقدمل بروحي ، أذكر كم عذبتني
خطواتي الباحثة عنك ، عن وجهٍ قرّ ذات مساءٍ كئيب المحيا
والأنفاس .

يا خادعة، يا موجهة، ليت أني أدركت أنّ الحنين زائف البوح ،
وأنّ الشجيرات التي تخلّقت داخلي كانت عوسجات آثرن التمكن
منيّ خفيةً ، درجّن على اللعب بالرحابة المعطاءة ، والصفاء ،
والطيبة ، والأمنيات ، وأتقن غرز أشواكهن في ذاتي مرةً بعد
مرة .

لم أتشبث بكِ وأنتِ قاتلتني ، والجزء المهزوم فيّ يحاول أن
يحيا ، أن يقوّم انكساره، بفرض صورتك، واسترجاع حديثك
وضحكك ونزقك وبث الروح في الأحلام التي أتلقت تفاصيلها،
وباعت صورها ولذاذاتها وشفافيتها ووعودها؟

قلتِ لي ذاتَ يومَ ، أنا لا أستطيع أن أحيا دونَ صوتك ، دون
همسك ، دون صورتك التي تنام تحت جفني ليلاً ، وتستيقظ مع
الطيور والنباتات والصبح الجميل .
فماتت الكلمات مع الأيام التي ولّت.

عجـز

ماذا أكتبُ لكِ يا من تصافحُ الكآبةُ أناملها ، تتعقد الأيامُ
البائسةُ بجداولها ، وينكسرُ خطوها الخائر فإذا هي منكفئة على
خوفها ، على استكانة المهزوم ؟

ماذا علمتكِ الأيام ؟ ماذا علمتكِ الألفاظ المبتوثة في
الصفحات التي صافحتها عيناك ؟ الرياح التي عصفت بيابك
وشبابيكك ، والقابلة حين أسرت في أذنك يوم مولدك ؟

ماذا علمتك المساطرُ ، الدفاتر ، الأقلام ، الألوان وحصصُ
الدروس الطويلة ؟

هل حكّت لكِ الوسائدُ عن أحلام لا تجيء ، عن فرسان فقدوا
قاماتهم ، خيلهم ، عن زهرٍ لا ينبتُ إلا في رؤوس الجبال ، وعن
الرجال الذين تجاوزتهم الأيام فتجاوزوا عن صورها وأحرقوا
أخيلتهم ، فعزّ عليهم رسم المستحيل ؟

ماذا أكتب لكِ يا دائنة ومدينة ؟

أأكتب تعاويذ تمنح السلام والرضا ، أو قصيدة محروقة الفؤاد ،
دامعة العينين ، أم أكتب عن تفاصيل وجهك فأغیر معالمه ،
أستحدث ندوباً وبشوراً وتجاعيد رسمتها الثواني الحزينة ؟ أأكتب

عن شيء أم عن فعل ينتمي ليديك، أم عن حرف قفز من لسانك
ذات يوم فأنار زوبعةً بقلبي، أم عن إطلالة وجهك على الصباح؟
لا أدري ماذا أكتب ، فكل الألفاظ والصور التي اخترقت
مساماتي إليك ، والأحاسيس التي سكنت دمي ، لم تصل عتبة
بابك ، ولم تغير من فصل الخريف القابع داخلك .

فماذا يمكنها الكلمات؟!

لغو

كم من الأضواء تَنَحَسِرُ وتَنَسَرِحُ، فلا أرى إلا عَيْنين
ولساناً وشفَتين، إِطْلالةً من فجرٍ وليدٍ يستحثني ويستحثُ الخطى
نحو فيئكِ، فما بال الظمأ يركز أوتاده في حلقي، وما بال يدي
تحدث الأخرى عن زوالك.

أراكِ رأي العين ، رأي القلب ، فأنتفض كمن به مسٌ، وألغو،
لغو المستباح، أرخي حبال ذاتي ، وأشرعُ أجنحتي ، فلا أقبض إلا
على سراك .

يا واهبةً دون هبة ، يا ناسكةً دون نُسكٍ ، يا حائرةً المحيا
والمسرى ، ومضيعةً الملاذ .

كم من الصور البائسة عبرت تلافيف رأسك الحبيب ، فأهلتِ
عليها من أيامك الراكضات ، كم من الأحلام توقدت فأحالت
لياليكِ الفزعة جحيماً.

من لي بتغيير المستحيل ، وعكس مجرى الدماء فيكِ ، بزرعي
جنيناً ولهاً في قلبك ، وإعادة رسم تفاصيل وجهي ، فأولد منك
ولك.

كم من الأيام تتقضي ، وفي انقضائها تنفض الفراشات
ألوانها ، تترك الأزهار عبقها ، ويفادر الضوء الحياة ، كم من
الأيام تمّحي ، وفي ارتحالها تتكسر الأجنحة المشرعة على المدى ،
فمن لي بتغيير الظلال واسترخائها ، من لي بعكس المستحيل.

أهازيج

رَسَمْتُكَ عَيْنًا مَفْتُوحَةً عَلَى الْمَدَى ، تَحْدُثُ أَشْبَاحَ الضِّيَاءِ ،
وَتَسْتَبْشِرُ ، عَلَّ الْأَحْلَامِ تَخْتَرِقُ الْأَبْوَابَ وَالنَّوَافِذَ الْمُوصَدَّةَ ،
وَتَحْتَضِنُ الْأَجْفَانَ وَتَلْعَقُ الْوَسْنَ .

رَسَمْتُكَ سَفْرًا مَنْسُوجًا مِنْ حِكَايَا الْمَتَعِبِينَ وَالْغَائِضِينَ ، مُذْهَبًا
بِدُمُوعِ الصَّبَايَا الْبَكْرِ ، مَكْتُوبًا بِدُمَاءِ الْبَحَارَةِ الَّذِينَ رَكِبُوا صِهْوَةَ
الْمِيَاهِ وَغَنَوْا لِلْخِيَابَاتِ الْمَقْبَلَاتِ ، عَزَفُوا بِسَلَاسِلِهِمُ الصَّدَائِدَ ،
وَرَقَصُوا عَلَى جَمْرِ اللَّيَالِي ، عَلَّاهُمْ يَسْتَحْضِرُونَ صُورَ الْأَحِبَّةِ
مُجَسَّدَةً ، أَوْ وَشْمًا عَلَى الْأَشْرَعَةِ الْحَبْلَى بِالْهَمُودِ ، أَوْ مَرْسُومَةً
عَلَى عِبَاءَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ .

مَنْ ذَا يَهْبِ الْعَيُونَ الْحَالِمَةَ فَجْرًا وَرَدِيًّا عَبَقَ الرَّائِحَةُ ؟
مَنْ ذَا يَهْبِ نَزْفَ الرُّوحِ عَقَارًا ، وَيَجْلِدُ الْأَنَّةَ حَتَّى تَبِيحَ الرُّوحُ
فَتَحْ مَغَالِيقَهَا ، أَوْ تَشْرَعَ فِي الرُّكُضِ تَجَاهَ الضِّيَاءِ حَتَّى تَمَّحِي ؟
أَعْلَمُ أَنِّي أَسْتَتِفِدُ الشَّعْرَ الْجَائِي فِي أَرْكَانِ الرُّوحِ ، وَأَنِّي حِينَ
أَسْجَلُ وَقَعَ حَوَافِرِ الْجِيَادِ دَاخِلِي ، تَقْفُزُ الْكَلِمَاتُ إِلَيْكَ رَاقِصَةً ،
نَائِرَةً وَجْهَهَا الْمَهْوُورُ بِالْأَلْقِ ، بِالْوَجْدِ الْمَلُونِ بِالْأَهَازِيجِ وَالْأَحْزَانِ .

أَعْلَمُ أَنِّي أَنْسَلُّ مِنْ شَعْرِكَ الْمَضْفُورِ مَفْزُوعًا ، أُطَلِّقُ صِيحَاتِي
وَصَرَاحِي هَبَاءً ، وَأَنِّي أَسَاقِطُ حَنِينًا جَنِيًّا ، وَأَنِّي حِينَ أَهْوِي ، أَوْ
أَقْبِلُ أَثْمَرَ ، وَأَنِّي حِينَ أَرْتَوِي أُشْبِعُ الْمَدَى بِأَلْوَانِي وَطَيُوبِي .

احتواء

ما الذي يبقى منك وأنا تحتويني أرض غير التي تعرفين؟
أرض لم تختبري هواءها ، سماءها ، شواهدا الباقيات ،
ملاحها السمراء ، وجعها ، أحلامها .

أرض لم تتكئي على جدرانها ، لم تعبري جسورها ، ولم
تصافحي النسائم في لياليها المقمرات .

ماذا يبقى منك وأنا أغير الظلال التي نصبتها لنفسي منذ أن
طلعت أول مرة يا امرأة من خشب الورد ، يا امرأة من صلصال ؟
ما الذي يبقى منك إلّا ، وأنا ما أزال أفتش عن وجهي الذي
نسيته ، لأعزفني ؟

ما الذي يبقى منك غير يدي ، شفتي ، عيني التي احتوت
صورتك النورانية ، وأنفي الذي راقص رائحة شعرك ، وجيدك
حين احتواك صدري ؟

وأنا ، ما زلت أفتش عني ، آه يا ملكة الحضور الذي لا يعرف
معنى الرحمة ولا السكينة .

ماذا يبقى منك، يا آثمةً ، غير هذا الإثم الذي يريـض في
صدري ولا غفران ؟

ماذا يبقى منك غير هذا التيه الذي أدفعه فيرتد إليّ ، وغير
هذه الأسئلة البائسة ، اليائسة التي تراودني ولا جواب ؟

نخيل القلب

إليكِ تعزُّو السنايلُ انكسارها ، واللقائقُ انتظارها ، والمياهُ
انشالها الحزين .

إليكِ يا مَلِكَةَ الغيابِ المعذبِ ، تعزو الرياحُ بقلبي أنينها وعويلها
وجنونها .

فمتى تدفعين بالطيور العطشة إليّ ؟ متى أحيلُ الكفين نهرًا
من أمان فأسقيها ، فتتثني بأعناقها إليك ؟ تسيلُ بأعناقها
الأمكنةُ والأيام ، تتلاحق الأمنياتُ ، تتجلى الصور الخبيئات ،
تتفض عنها أغشيتها الهلامية .

متى تدفعين بالأحلام ، وخوابي التوق الرابض ، فتتقلب
كاشفة ستر من أفضى نفسه إلى السكون ، وآثر جمع الأشلاء
وخياطتها ؟

إليكِ يا مَنْ أدمنتِ خوفَ الكشفِ ، تتنادى الأيام بعذاباتها
وفصولها ، والخلايا بانشطاراتها ، وطرقاتها الذاهلة بظلالها
وانحناءاتها .

إليكِ تتنادى الأوراق الفالتهُ من إसार الأشجار ، والسدر
الساكن بيوتنا القديمة .

تمد إليكِ النوافذِ المشرعة مصاريعها ، تحتويك الأبواب
والمجالس والغرفُ الموحشة ، النائمة في الظلمة .
تُسْكِنُكَ عرشَ الفجرِ المنتظر ، وتُهيئُ لك وسائدَ الذكريات ،
وعسلًا من خلايا المحبة .
تُهيئُ لك خبزاً ، حليباً وتمرًا من نخيل القلب .

بهجة

إليكِ يا مَنْ أَشَعَّتِ البهجةُ في أيامي هذه

في صيفي المقيتِ هذا

إليكِ الحضور ينتمي والحبور والمدى المسكون بالفرح المجنح .

أنتِ يا أنتِ يا بهية الهلّة، يا حاضنة الأفراح والأزهار والندى
المتوثب .

تبسطين مرجاً من نغمٍ وألوانٍ صاخبةً مجنونةً ، وحقلًا من
أمانٍ حاملةً هانئةً.

ماذا ملكت يداك الغضتان من سحرٍ لا أقوى على دحره

ومن قوة على الحياة لا أعلم مداها وباعثها ؟

ماذا ملكت يداك من سهامٍ تنفذ حتى الروح ؟

لماذا لا تقلبين سلتك المليئة بالدهشة ، المزدانة

بالقواقع والأصداف والأيام الضاحكة ، فأحصي

الممكن من بهجة القلب ؟

لم تنهار السدود التي أبنيتها حين تحاول اتقاء فيضك ،

لم تخضر مساحات روعي وتزهر الكلمات على لساني ،

وتتراقص المعاني حين تطلعين في أيامي هذه

حين تأتين كاليمام ، كالمحيا الجميل ، كالحداء في الليالي

المتعبات ، كالقهوة .

حيث يسكن العطش ويعرش على الشفاء والصدور الهامدة.

مَنْ عَلَّمَكَ إِتْقَانَ البهجة والقفز على عذابات الأيام ؟

مَنْ زرع الحبَّ في عينيكِ وأشاع الدفء لليتامى والمنكفئين على

الحزن والوحدة ؟

مَنْ عَلَّمَكَ نزعَ الأسى وغرسَ شقائق النعمانِ في العيون ؟

مَنْ عَلَّمَكَ السطو على الوقت المنسرح وامتلاك

صيفي هذا ؟

ذكرى

ما أصعب طعنات وعودك التي لا تتحقق ، طعنات متتالية في
جسد الأيام .

لست أدري لماذا يعتربك هذا الفتور ، يضرب أطنابه ويتمدد
داخلك ، فينشئ ظلالاً من وهنٍ وألمٍ .

لم تعد الكلمات تبني جسراً نحوك ، ولم يعد الشوق يثير فيك
اشتياقاً .

تطاوَلتْ مِنْ حَوْلِكَ الأيامُ والليالي والجدران ، وانغلقت
السموات والنوافذ المشرعة على المدى .

لَمْ أَدْمَنْتِ عَلَى معاشة الظلال القاتمة ، والهذر ؟

لَمْ أَدْمَنْتِ حكايات الأشكال ، القشور ، عشقت الأصباغ ،
الملابس ، الحقائق الفارغة والمرايا الصغيرة ؟

لَمْ أَدْمَنْتِ أحاديث السفر ، الأماكن المشتهاة ، الأسواق والشراء
بلا حدود ، الأزياء التي لا تنتهي ، وقضاء الأمسيات الحزينة بهذا
الصيف المقيت ؟

ما عادت الأيام تحمل إليك أفراحاً ، ما عادت البهجة تطل من
شبابيكك المغلقة ، ما عادت الصور الحاملة تغزو لياليك ،

وصدرك ، ولا الجياد المطهمة تمد أعناقها إلى شرفاتك ، ما
عادت الأزهار حلم يومك ، ولا الأشجار غرس ضحكك .
ما عدت أنا من أنا لديك ، غدوت ظلاً باهتاً من ظلالك وقصة
تجاوزت عن سرد تفاصيلها .
ما أصعب النسيان لديّ ، وما أذهّ لديك .

بي حنين

حين تقفين في مواجهة الكلمات ، وتتعكس الأحرف في مرآة
عينيك ، حاذري أن تنقلب المعاني وتحترق الألفاظ في مجمرة
البؤبؤ العسلي .

و حين تتمتمين بصوت هامسٍ ذبيح ، حاذري أن تجرحي جسد
الألفاظ المسجى بين شفتيك .

أيتها الوالهة أين أنتِ منذُ مساءاتٍ مضتْ ؟

أين أنتِ منذُ آلافِ الانتظارات ؟

هل مازلت تمارسين لعبة الضياع بعيداً عن شطوط الأبواب
المتعبة والنوارس المجروحة والأشرعة الممزقة ؟
أيتها الوالهة ، بي حنين لا يملُ المكوثُ في ظلام هذي
المساءات .

بي حنين لا يمل ، وإن ملّت الرياح الأنين .

إن ملّت المساءات المجيء

أو ملّت هذي المراكب اصطباراتها

إن ملّت الأفلاك دورتها .

بي حنينٌ إليكِ وأنتِ معلقةٌ ما بين الوصل والقطيعة.
بي حنينٌ لأن أنام في حضن أحلامكِ كفارسٍ وحيد
كنبتهِ نادرةٍ ، أو كوردةٍ تملك سرَّ الخلود.
آهٍ لييتي حجر.

نجمة

قالت حين طرقت أصابع الليل باب سكينتها :
تعال كَفَّنِي بساعديك ، واحجب عني الضوء المَخَاتِلَ
هذا الهواء المقاتل، هذي الرياح
أقبل كنجمة تثقب السماء إليّ
تَزوّد من الجمر الرابض
بصدري ، زوادة لأيامك المتخفية بعباءة الآتي .
ألهب ظهور الجياد الساكنة دمي
انتق لي حكاية يا مُتَوَجِّاً على مملكة الروح ،
من حكايات غريبتك
تستقرُّ خيالاتي
أنا المقيّدة بعقال الصبر والأيام .
أجنحتي عاجزة وأنا بي توقُّ إلى الأنهار
بي وله لرحيل لا يُقْبَلُ ، ولغيوم بيضاء
تتشكّل كالجبال ، كالوديان

وكالناس

وجوة وظلالٌ ، أجوس فيها ، أحداث المخلوقات الغريبة

وأنتَ ، بي رغبةً أنْ أراكَ هناك

لكنْكَ كالأشباحِ التي تلتفُّ حولِ جسدي

تعوي وترقص رقصاً محموماً

تحملني على غلالة بيضاء وتهوي بي إلى جُبِّ معتمٍ

موحش .

لاترى إلاي

فارسه أنت في انتهاب المسافة
ما بين قلبي والمدى ، يعزُّ عليكِ
الوضوح ، ويستعصي عليك التودُّد
والانثيال ما بين ذراعي
فارسه أنت في الهروب ، مغلفة بالأسرار
محاطة بالأقفال والأبواب والأسوار
كقلعة ساحلية تقبع على رأس جبل
تنزياً بالحراب المسنونة
والسيوف المصقولة والدروع المفتولة
تعلق ألف غيمة مدججة بالرماح
والنبال في سمائها ، وتستنهض
مليون موجة وحشية إلى أسوارها .
أحيلك صورة مخففة في خيالي
منضوة الأسلحة والأسرار والغيوم

صورة أزرع فيها رغباتي وأهوائي وأحلامي
وظنوني وشططي ونزواتي ، وأنت ما زلت
عصيةً على التحول ، ترفضين الرضوخ لي
فلا أملكُ إلا محو الصورة وتدميرها
في طقس ذاتي ، ورسم صورة أخرى لكِ
طيعة الهوى ، تتقن في التقرب لي ، كصفورةٍ
وادعةٍ ، معطرةٍ بالوجد ، مراشفها تتضح عسلًا
مصفى ، عيناها لا ترى إلّاي ، أنفاسها تتزود
بأنفاسي ، إلا أنني أعجز عن رسم الصورة
كاملة ، لعلمي أنك فوق أمانيّ وأحلامي
وأنك لا تثبتين على حال ، وأنك ما زلت
عصيةً على الهوى ، تتصنعين الرضا ، وتعشقين
التبدّل والتحول ساعة ، ساعة .

المبعثرة في ليلها

آه يا مذبذبة الهوى ، تتنازعك الأمنياتُ
المبعثرة ما بين نجمٍ يضيءُ أحلامكِ
وليلٍ مبهمٍ القسمات يغلفها بالصمت.
فماذا أنتِ فاعلةٌ لمهجةٍ تشتاقُ
وجهكِ الحبيبَ حين يطلُّ ؟
وتتفجر من أجلكِ حين يضطرب الرأسُ
الصغير.

ماذا أنتِ فاعلةٌ في ليل وحدتنا ، وليل
اشتياقتنا ، وليل هروبنا من أضلع
الوقت إلى بوابات الدهشة
والحلم الجميل ؟

آه يا مذبذبة الهوى
أعلم أن الشبابيكَ التي تفتَحُ مغاليق
صدورها في الصباح ، تعقد العزم

على استقبال دفقة من حياة وليدة
وأن الشبايبك التي تفتح أعينها في
المساء تحتضن الأحلام السابعة
في الفضاء ، المهاجرة من أمكنة أخرى
فمتى تتفض شبايبكُ حزنها ، تفض
مغاليق ذاتها ، تبوح بأسرارها
تلهج بلغة ملونة بالفرح ، وتتزيًا بالأمل ؟
متى تغادر الدمة موقدها ، تطفئ
النفس جمر سرايبها ، وتهنأ العين عند
مرافئ الحنين ؟
آه يا مذبذبة الهوى ، صمتك صمت
القوارير المختومة ، صمت الزهرات
حين تفتقد اللون والعبق والغيث
صمتك ، صمت النخلة حين يعزُّ الطلع
صمت الآبار والحدائق والأطيّار حين
يهمي الليل بمطرقتة على الصدور .

ليت لي

ليت لي القدرة على أن أحفر وجه هذي الطريق
المقبرة لغيري.

أن أرسم في صدغيها هلالاً ونجمة لي ، تذكراً
لوجع يشيعك ساعة الرحيل .
أن أنثر شيئاً من ريح هذه الصحاري الواجمة ،
العطشى .

وشياً من شمم هذي البيوت البيضاء التي لا
تعرفُ الغدرَ ، ولا اليأس ، ولا التواري .

شيئاً من وداعتها رُبّما

شيئاً من حنانها رُبّما

شيئاً من لحنها

من إيقاعها الممزوج بالأمانى

وشياً من زمانها ، من زمانى .

ليت لي وجه ابن ماجد ، شراعهُ ، رحيلهُ

فتارهُ الوقاذ في سماء البحار العليلة

كي أحطمَ العجزَ الكامنَ فيَّ
وأفكَّ قيودَ النوارسِ المَعْدَبَةِ في مراقدها .
ليت لي غير هذا الوجه ، غير هذي اليد ، غير هذا
الاسم ، كي لا أكتبَ عنكِ ، أو لأبعد ما بين
حرفي وقلبي ، أو أنأى بروحي عن رمح غيابكِ القاتل .
أيها الأزرقُ العظيم ، يا بطن المجهول المعلوم ، خذني
إليكِ اضمامةً من ورقٍ مسكونٍ بالحرفِ المنبوذ .
خذني إليكِ حزمةً من أعشابِ هذي الأرض
عبداً يغني وَجَعَهُ الأسودَ ، جلدَ
ذبيحةٍ نحاسيِّ القسمات
خذني إليكِ وشماً ممهوراً على جسدٍ قارب عتيق ،
دفقةً من ضياءٍ يُحْتَضَرُ .

أرى في الحلم

أرى في الحلم الصيفي أن قلبي تقاحة مقضومة
الأطرافِ مطعونة الظهر بسكين الوعود
وأن العسل المصفي في قلبي حُق من مرارٍ
وزوادة من جحود.

وأنت في الحلم متوجةً مربوطةً بخيط من
الصوف ، يتباعد الوجه مرةً ، يتراقص الوجه مرةً ،
يهبط ، يعلو ، وَيَتَقَلَّتْ في سماء الحلم الصيفي .
وأنت قُبْرَةٌ وسوسنةً ، وزهرة غاردينيا ، وأنت
دخانٌ ، بومةٌ على غصنٍ يخرج من صدري ،
وأنت نخلةٌ تهرب إذا ما الطير قاربها ، وإذا ما النجم
لاعبها بكت ، وفرت تشتكي للمدى الأسود ، للبحر .
أرى في الحلم أنني أسير بعيداً عنك ، وأن وجوهاً تخرجُ
من ظلمة الطريق تبسم ، وأخرى حائرةً ، وأخرى
مُدبرةً ، ووجوهاً تتساءل عن معنى المحبة ، وجدوى

الصبر ، والنكران ، والنسيان .

تتساءل عن مَفْبَةِ الهجران ، وعن تفاصيل الطريق .

وأرى في الحلمِ وجوهاً بلا شفاء ، وشفاهها معلقة

بأبوابٍ قاتمة اللونِ تموء بلا صوت ، أشكالاً لم تتضج ،

أو تتضجُ ، أو تتزّيا .

أرى في الحلم أني بلا قدمين

أطير ، أسبحُ في سماءٍ أثيرة .

في الضياء

يا مالكة يومي ، وغدي لو أردتِ وشاءتِ دفقةً النورِ منك
انصهاراً في ذاتي ، أنا حرفٌ يحملُ عبءَ الشفاءِ المطبقات على
اللظى ، ووجعَ البوحِ بمكتونِ الصدرِ ، واستنزافَ الروحِ .

أنا حرفٌ يمسي على ذكرِكَ ووصفِكَ واختزانِ بريقِ عينيكِ
والارتواءِ من ينابيعِ حديثِكَ ، ويُصبحُ فيشحنُ نفسه ويتناول حتى
يليق بهلاَّتِكَ وبالمثولِ أمامَ نورِكَ .

فهزِّي نخلةَ الفاظِكَ وابتساماتِكَ وعذاباتِكَ وأفراحِكَ وتوقدي .

أنت يا أقربَ من حلمٍ وأبعدَ من واقعٍ ، دعي هذا الجنِّي
العظيم يستبيحُ أغوارِ النفسِ والوهادِ ، ويبتني له عرشاً من محبةٍ
وودٍّ رَحْبٍ كريمٍ .

دعي هذا الجنِّي الحبيبَ ينسربُ إليَّ أنا الحرفُ اللاهجُ
باسمِكَ والنايِضُ بهديكِ .

أنا الساكنُ على حَدِّ السَّيْفِ ، تعذبني الخطوةُ تجاهَ المِقْبَضِ
وتجاهَ الموتِ .

ما بين اليقظة وبين الخمودِ مُعَلَّقٌ بفيضِ وجودِكَ ، فلا تستري
هذا النورِ الدافقُ لئلا تجتاحَ العتمةُ مساحاتِ الروحِ .

من أنتهر الساعة ؟

كم من اللغات تستطلقها عيناك حين يفيض طيفك وكم من
المسافات يعبرها شوقي حين تلجمين عينيك عن ورود ضفافي ،
وأنا البحر حينئذ ، في عجزه واستكائه ، جف حلقه من كثرة
التصبار ، ومَلَّتْ أصدافه عزوف الأميرات عن لآلئها .

من أنتهر الساعة ؟

أالصدفة التي ما فتئت تخون مُلازمها ، ورفيق غربتها ؟

أم الطرق التي شاخت أمام ناظري قبل أوانها ؟

مَنْ أَنْتَهُرُ السَّاعَةَ ؟ أَسئلتك التي واطبت عن تعمد على كشف
جهلك بكنه البوح ؟ أم أجوبتي وألفاظي المذبوحة الأنفاس ، أم
أحزاني ؟ والحزن انشاء الروح على مواعد الليل ، مواعد كموائد
مشرعة للنفس .

أم يا سيدة الليالي المشبعة برائحة احتراقي ، كم من الثواني
تموء بلحم الوقت ، تستهض غيمة الروح أن تمطر ، وكم من
الذرات تنتظر أن تغادر صحاريها ، وأن تتشكل هيكلًا لأدمي بلا
عناء ، وكم من التراتيل تسابق انفلات الشفاء فتبني في مهجة
الكون لها بيتاً من حنين .

آه يا سيدة الليالي الباقية ، من أنتهر الساعة غير وجيبي ،
غير القدرة التي تقيم لك مع كُلِّ صباح داخلي مَيَّتماً للعزاء ،
وتستنهض ليلى وتستنهضني لتعلي من رسمك في سماء الطقس ،
وتضمُّخ المكان بطيويك وتوقد النفس لاستحضار طيفك ، وتشعل
الليل تماثم من فرح طفولي غرير .

وضوح

هل فهمت الآن ما معنى أن يُسَطَّرَ فيك الوالهُ كلماتٍ من وِلَه ،
وأن يثَّبت أوتادَ روحه أمام مشكاةِ نورك ، يا أطيِّبَ وأعذبَ وجهٍ
وشفةٍ وعين ، يا أجملَ هدي في صبحنا الوسنان ؟

هل فهمت الآن ، أم يثَّيك غموضُ الأيامِ الماضية ، عن إدراك
المعنى ؟

كلُّ هذه الكلمات النابضة بالهوى يجب أن تحيلك إلى إدراكٍ لا
يعتمر البرودَ والتجاهل.

هي أناتٌ محزونٍ مذ كانت وكان الهوى متقدماً في الضلوع .

هي تباريحُ مجنون يداري لهيب جوانحه بالصور المجنحة
الحاملة ، بالصور النابضة بالألوان ، حتى تشيع الفرحة وتستتر الألم .
هي رقصاتُ نورسٍ تائهٍ يستجير بشواطئ من نار وبظلٍ يتزياً
بالخوف ، ويتقلدُ ماضياً مثقلاً بالحكايات .

فانتصبي قامةً من رفضٍ أو قبول ، من فهمٍ أو تجاهل .

حددي مسار الأطيَّار تجاه المياه الدافئة أو تجاه الصقيع، تجاه
الرعود أو تجاه الغيوم الحانية الدفق .

والهبي الدماء في شرايينها بحزمة من ضياء رضاك أو هبيها
انفلات اللاعودة.

يا عين .. يا ليل

لاشركَ إلا هذه العينُ ودمعها ، بهجتها ، رعشتها المستفزة ،
يومَ أن تفاجئك بيروزها واستدارتها وتفورها في طرقات أيامك .

لاشركَ إلا هذا البُؤبؤُ الملحاحُ حينَ يعقدُ عَزمَهُ على جعلك
تميمةَ حظِّه ، وساكنَ بطنِ لحظَةٍ ، فيجلدُك صباحَ مساءٍ وقتك ،
وأنت لا تملك إلا إذعاناً وورودَ فيضِ حسنه ، ونعمائه عليك ،
فهلأ أنبتَ ، وأقررتَ بعجزك عن ردِّه ، وقلةِ حيلتك في صرفه ؟

كم يملأني البكاءُ حينَ يأتي صوتُك من حُضنِ غيمةٍ باردةٍ
الجوانحِ شرود ، وتستفيق في رعدةٍ لا تنتهي إلا على شفا
روحي .

يا للملكوت الذي يشيدهُ البكاءُ ، يا برَّحهُ حينَ يستوي فيحجبُ
القدرة .

حينَ ينضو عن النفسِ غطاءها ، يغور في دهاليزها ، يفتح
أبواباً ما كان لها أن تُفتحَ ، يستثير مَرَدَّتَها ، يحضر أخاديدها ،
فتجري فيها أنهار مالحة ، تقزعُ فيها أطيَّارُ مكسورة الأجنحة
مفجوعة ، ويلدُّ للطقسِ ساعتها أن يسقط مغشياً عليه .

في حمى العرش

يا توق نفسي ، يا هدي روعي ، أيتها المنبثقة نوراً إليّ ، ومنّي .
إليك أتقافزُ فراشةً شدّها النور الفاض من روح سكرى
بالضوء ، فماذا أنت فاعلةٌ في يومي ويومك هذا ؟
هاأنذا أُطلقُ رايةً من محبةٍ في سماءِ يَوْمِكَ ، وأُعلنُ أنّي ما
غادرتُ حمى عرشك إلا لكي أعود مشدوداً بحبلِ ضيائك ، أحومُ
حولَ عينيكِ لعلّي أظفرُ بالرضا ، بِصَنكِ التطواف ، وأنهل من وردِ
الشفتين العسلاوين .

أنتِ يا مالكةَ زمامِ الأطيّارِ والنوارسِ والفراشِ والإصباحِ
والندى والفرح المجنح في أرضنا الجرداء العطشى ، هبي ورد
اليوم لونه المُشْتعلُ وعطرهُ المفضوح ، هبي عصافير شجيراتنا
انطلاقتها ، عنقوانها وأغانيها ، هبي نوارسنا شطوطها وأمواجاً
تحتدمُ ساعةَ التلاقي .

يا فرحي المرتجى ، وسكينتي وهوايَ أنا في فيء كرمك ، وقلبي
في فيء لظاكِ ، نار نورك ، يتجرّعُ شجناً من ذاته ، ينهلُ أملاً من
سعيه ، وَيَسْتَرْقُ السَّمْعَ لعلّ وجيباً أو شجناً أو حُسناً يهمني إليه ،
فيطيب جنا ولعه ، ويطيب مدى فيئه .

هاأنذا بقرب حماك نصبتُ لي خيمةً من ولهٍ علكِ واهبةً يا
أطيبَ منْ أطيبِ نفسٍ ناديتُ ولجأتُ ، ولم أُسرِرْ ما أكنّنتُ ،
فأبَحْتُ ، فماذا في وسْعِكَ يا موئِلَ روحِ التائهِ العطِشِ إلى
فيضك ؟

أَسْئَلَةُ

حين أُفِيقُ من سحر عينيك وأدركُ أن التعاويذ التي ادّخرتها
لمثل هذه اللحظة ، لم تدفع عني الوله بها ، لم تجنبني السقوط
في حباتها وتتبع دورانها واستقرارها ونفورها ورضاها وسعادتها
وحزنها .

وَأَنَّ التعاويذَ التي دَاوَمْتُ على حِفْظِهَا مراتٍ ومراتٍ خانتني
وَقَلَبْتُ لي كُلَّ المعاني وفَرَّتْ هاربةً مع أولِ رَعْشَةٍ لجفنيكِ ، مع أولِ
خَفَقَةٍ ، مع أولِ بَرِيقٍ .

أَوْقِنُ أَنَّكَ جمعُ فصولِ الهوى ، قضاءٌ يستحيلُ النكوصُ عنه ،
ملاذٌ مُحَيَّرٌ وأتونٌ من المتناقضات ، وَأَنَّكَ عذابِي اللذيذُ المُسْتَفْزِرُ .

تتقاطرُ أسئلةُ شتى تَلْفُ نفسِي المتعبة ، تغلفُها برغبةٌ مجنونة
للمعرفة والهدوء والفرح ، فلا تجني إلا سيّاطاً من قلقٍ .

لِمَ تَعِدُّني عيناكِ مواعِدَ صادقَاتٍ حين أغرق فيها ، وتتوَعَّدُني
الأيامُ بِنَقْضِهَا واستِباحَةِ رحابِهَا ؟

وحين تغفو عيناكِ وأحاول كسر مغاليقها ، سبر ظلماتها ،
قراءة أحلامها ، لِمَ تدفعني وتلوذُ بالصمتِ فلا تحدثني وأنا المعلقُ
على حَدِّ الجفن ؟

آخر الأوقات الطيبة

مُضَمَّخٌ أنا بالحكاياتِ والألفاظِ الموجهةِ الذاهبةِ إليك، لعينيكِ
التَّوَّاقَتَيْنِ لفرضِ اللاجِدوى واللاوجودِ واللامعنى على ساعاتِ
يومكِ ويومي .

كُلُّ الأنفاسِ المسفوحةِ في يومي هذا تهيبُ فتننتها وتستبقُ
النسيانَ الذي يسمقُ إلى ذاكرتكِ ، يشمُّعُ جدرانَ القلبِ ، يطفئُ
أنوارَ الروحِ ، ويحرقُ ظلالَ ملاذكِ وملاذي .

يا آخِرَ الأيامِ ، آخرَ الأوقاتِ الطيبةِ ، يا آخِرَ نشوةٍ ، يا آخِرَ
رهامٍ^(١) من آخِرِ غيمةٍ . من آخِرِ مدى .

أنتِ كالأحلامِ التي لا تَسْتَقِرُّ في مضجعي .

أنتِ كالوردةِ التي لا تستقيمُ في أضلعي .

وأنتِ أولُ القاتلينِ وآخِرُ الناهبينِ للحرفِ الذي لا يعي .

يا وعداً ببابِ الصبحِ ، وَخِنْجِراً ببابِ الليلِ .

مفتونةٌ أنتِ بسرِّيانِ الأيامِ واحتراقها ، وبالمَللِ العظيمِ حينَ يقبعُ
بجوارِ رأسكِ ويمسكُ بأنفاسكِ وصدركِ وجدائكِ .

١ - الرهام : المطر الخفيف .

مفتونةٌ أنتِ بارتداد الأحلام الباردة المطفأة إلى أحضانكِ ،
بالتهام الأحرف واجترار القصص المروية آلاف المرات.

مفتونةٌ أنتِ بمراياكِ وضحكاتِها الخادعة لك ، بأصباغكِ
وبتجاريكِ في إخفاء ما يترهل ويتجعد ويفادره لونه .

مفتونةٌ أنتِ بما يمضي بك بعيداً وأنتِ مقيدة مثبّته كأي إطار
فارغ .

مفتونةٌ أنتِ بأشياء كثيرة ، ولكني لا أرى الوجه الذي تضعين .

هذا أوان الصهيل

أيا امرأة تَضجُ في دمها وترتجُ ، كالبراكين الساكنة على جمرٍ ،
هذا أوانُ التفتُّح ، هذا أوانُ الرياح ، هذا أوان المدِّ وامتناء
الصهيل ، وانسكاب الصحراء على الخيام ، وامتزاج البحر
بالسما ، واصطفاق الليل بالنخيل .

هذا أوانُ ارتداد الطين إلى ارتعاشته الأولى ، وانبثاق الوردة
من مكنها .

وانتفاض الشفق في مداه .

أيا امرأة تتململُ الأشواك في خميلتها ، تصرخُ الورودُ من
لهفتها ، وتتدلى الأوراقُ من شفتها ، هذا أوانُ السُّقيا ، فانتھري
الصُّبْحَ كي لا يعود ، وانثري جمرَكِ المؤؤود في صدر الليالي
الحالة ، واحترزي سطوة العهد الخؤون .

أيا امرأة تَسْتَحْضِرُ الصورَ الخبيئة وتنثرها على الشطوطِ
الراجفة ، على الأوقات الواجفة ، هذا زمانك فتمددي عرضَ
المكان وانسكبي في مهجة اليوم ، في عروق الأشجار الباسقة ،
وانسربي مع استفاقات الجنون .

أيا امرأة من ثريا النجوم الماجنة ، هذا أوانُ التّماعِ العيون ،
وسكون المحيا ، وانفلاق الجفون ، فتثبتي من انكسار الشمس على
يديكِ ، ومن انشاء البرق على ساعديك ، ومن ارتواء الغيم من
شفّتكِ ، لئلا ترتاع الطيور ، وتتخلى عن ألوانها ، أحلامها ،
لغاتِها .

لئلا تتساقط الأطيافُ ، وتهرب الطيوبُ من سمائنا .

لئلا تهاجر الخيولُ إلى فلواتٍ أضيق ومدائن مندثرة .

لئلا تغادر الغيومُ ماءها ، والأرض مدارها .

أيا امرأة من لهيب الصيفِ انبثقت

هذا أوانُ الصهيل .

عطر التوق

أغنيتي في وهج النهار تصطلي وتظل تردد أحرفاً مشبعة بعطر
التوق .

تضمها إلى بعضها تارة وتطلقها تارة أخرى ، فإذا هي شرعٌ
وحقلٌ من نجومٍ ، وإذا هي وردة منقبضة .

ماذا ترتجي الكلمات حين تجلس على حافة الضوء منك ؟ إلى
ماذا تتوق ؟

أسئلةٌ معلقةٌ على إجاباتك الصامتة أو المألحة ، أو الفارقة
البريق .

أسئلةٌ تبدو كالخفافيش أو كالبوم الذي يلذ له ثبات النظر إلى
المساحات الفارغة .

هل تنتهي المعاني إذا ما أقمت بينك وبينها سداً من مناجل أو
سداً من حمم ؟

هل تذوب الكلمات ، المعاني ، الأرواحُ التي تهذي بعشقتك ،
وتدفع الظلال التي سكنت جانبيك ؟

هل تذوي الذاكرة وتضمحل وهي ترتوي من فيض تفاصيل
الأيام الباسقة فينا ؟

ما زالت تلازم الأمنياتُ الأرواح وأنت على البعد .
ما زالت تضج بالصباحات وبالليالي الدافئة وبالخيالات .
إلى أين تمضين بالذاكرة ، وهي لا تقبل الدفن في الثواني
الرتيبة ، لا تقبل الدفن في الأيام العصيبة ؟
أعلم أنك تستغربين هذا التوق ، وهذا الشوق الذي يمضي فيّ
كالسيف ، فالروح ترانيمٌ من اخضرار دافق .
والروح أودية نابضة بالإيقاع ، وباللغات المستفزة .
حتى وإن كانت الوحدة والكآبة والحيرة كل ما تمتلكين ، كل ما
تهبين ، كاللقالق المعلقة بين الحياة والموت .
كالمحار ، كالبحر وكالردى .

حدثني خيالك

من زيتونة مباركةٍ تَخَلَّقْتُ ، واستطلتُ ، وأورقت وأخضرتُ
أطرافي ، ومن زيتها العَطرِ جرى دمي وتفجر ، أنا شقيقة الفجر
المسجى على خَدِ الأفق .

أطلعُ كما الورد في الصباحات الجميلة ، كزهرة عباد الشمس
شعري المنثال على جسد الوقت والأيام .

هكذا همس خيالك في أذني ساعة بزوغه ، حين أرخى عباءته
على وجهي والتحم بروحي، وعزف من قيثار غاياته ، فحدثني عن
صبابات الورد وتوق الندى وانبثاق الوجد في طقس الليالي .

حدثني عن صورةٍ مسجاةٍ بأحضان اليمام ، عن صورةٍ مذهبةٍ
مرسومة على أجنحة القلب ، عن قصص تُدَمِّعُ العين وتزرعُ في
الفؤاد بذرة الأسى ، حدثني عن أيام انقضت ، وأيام ستأتي ، عن
أحلامٍ تثير الدهشة وتستفزُّ الألفاظ المختزنة بأطراف الجوانح .

حدثني عن تغير الفصول ، عن توارخ الأوراق الطالعة ،
والأوراق المنبثقة ، والأوراق المتساقطة ، عن الغيم وسلطانة .

ثم أوسدَ رأسه على صدري كما الأحلام ، وقال دَثَرَنِي بالمعاني
التي لم تتشكل في مدى روحك بعد، هَدِّهْنِي بالأغاني التي

أطلقَتْها الساحراتُ في صيفكَ الماضي ، فأوقنُ أن الصحراء التي
حملت بك لم تجذب ، وأنَّ الرياح التي انفلتت فكت عقالها من
ذاتك.

دَثَّرني ، فلقد أعيتني أجنحة الشوق، وأسقممتي الليالي
الذاهبات.

الليل

الليل طویل و متعبٌ كمفازة ، وهذا القنديلُ العابثُ ما ملّ قفزاته
ولا عثراته فوق جسدِ الظلمة .

من بيده مفاتيحُ ملكوتِ هذا الليل ، من بيده فك طلاسم هذا
الوشاح المطرز بالآهات ، المثخن بالصمت واللوعات ، والعيون
المنبثقة كالأزهار الحمراء .

الليلُ يقتفي خطوات النفس ، يشاغبها ، يغني أغنية من لوعات
غائصٍ مسكين .

الليلُ يحمل طبوله في معطفه ، وراقصيه في جوريه ، وعصا
ما ملّت منادمة الروح .

الليلُ يعشقُ الأطفال اليتامى ، والأرغفة التي لم تؤكل ، ويلدُّ إذا
ما غنّت دمةٌ مُستهامه .

الليلُ وجعٌ ، ذنبٌ لم يغسل ، وحنينٌ لصبرٍ لا يسأل .

الليلُ قنافذُ مجنونة ، وذئابٌ تنهشُ الأطراف الوسنانة .

الليلُ مخابئُ ضباغٍ لا تشبع ، خليةُ نحلٍ لا يهدأ ، وعباءةُ
ساحرةٍ أضاعت في الحيِّ تميمتها .

الليلُ بحرٌ قامَ على رجْليَّة ، نخلٌ قطفَ القمرَ واجتزَّ صدغيه .

الليلُ سهيلٌ لا يفتُر ، حذاءٌ يجلدُ وترأ لا يصبر ، أدعيةٌ ، ابتهالاتُ
من شفةٍ عطشى ، وأنينٌ مهزومٍ مطروح .

الليلُ أطياف جنٍّ تتريُّ

وجوهٌ من فيض الوقتِ تلوح

الليلُ سحابُ الرُّوح .

الليل « ٢ »

الليلُ ودُّ طرّاق

يتراقص على رجف الأوراق

الليل ودُّ خفاق

موهنُ النفس

مشتبك الأعراق

الليل ودُّ يتقاطع وثرثرة الأناث

يسابق أنفاس الأشواق

ودُّ حرّاق

الليل ودُّ يرابط بباب اليوم

بنافذة الصبح ، ودُّ سرّاق

الليل ، ودُّ ينسابُ بلا صوتٍ

ينثالُ في أزقة الوقتِ

يلاطم شمس الوجه

وشفة الهمس

وخطو الحسن ، ودُّ رقرق
الليل ودُّ الأمس للأمس
مرهونٌ مشتاق
الليل ودُّ ، حزنٌ دفاق
يلوك الأطياف المصفوذة
يجتر سلاف القول
ومذبحة الأعناق
الليل حزن مصقولٌ
وسيفٌ مسلولٌ
يقوم على مقبضه
يتوسد دم الاشرار
الليل حزن مهراق
يتلون كهامات الأثل
وكالنخل ، تترى أفاق

الليل « ٣ »

الليل اغفائة لا تستكين
إطلالة ، سكرة على سكين
ورجفة بُعِيدَ الصبح في مغلولة
ودمعة تجوس في مدى روعي
آثرتُ ألا تبين
الليل سرى بهجتي
الليل موتي هاهنا
إطالتي
وصهوة تباعدت عني فألجمتها
صيرتها قصيدة ، وأنجما
مراكبا ، بحارة ، أحبة
على الأنواء قادرين
الليل زهرة من جرحنا اصطفتيها
وخضبتُها
فأينعت ، تفرّدت

وحدّثت ، عن لونها

عن توقها ، عن سحرها

فأسهبت وألهبت جذرا جنين

وحدّثت عن سرّها

عن شوقها ، حتى ارتوت

وردا ضنين

الليل فكرة ضممتها

فأشرقت بوجهك الندي

وغيمة ترجلت عن عرشها

فأورقت طيفا هجين

الليل أهزوجة تراقصت

توثبت ، فأطربت

أسلمتها صدرا حزين

أسوار

لماذا تخافين مني وأخاف منك ، ونحن نعقد ائتلافنا بالحب
والتوحد والذوبان؟ لماذا تنبئ عينك بالخوف ولا تنبئ بالثقة ؟
ولماذا تنبئ عيني بالخوف منك ومن تقلباتك ، ولا تركز إلى
الجانب المضيء في النفس ، إلى الجانب الذي تملؤه فراشات
الحب الملونة وأزهار التوق والاحتياج لك ، إلى روحك وبوحك
وحنينك ؟

عذراً إذ قلت ائتلافنا ، إنه أقوى من الإئتلاف ، إنه تمازجنا،
هكذا هو أو هكذا أتمناه ، هاأنذا أعود إلى مخاوفي ، لأنني لا
أريد أن تكون حياتنا قائمة على نظرية سد الفراغ .

علينا أن نتجاوز كل مخاوفنا وأن نخطو تجاه تجربة التمازج ،
حتى لا تسقط أوراق حياتنا من بين أيدينا يابسة جافة.

علينا أن ندفع برحيق الحياة في عروقها ، وأن نحافظ على
إخضرارها ، أن نتجاوز كل الاختلافات ، كل الضغوطات ، كل
أشكال الحصار ، لأن الحصار قاتل ، خانق ، ككل الأسوار
والأسلاك الشائكة ، فكيف إذا كانت هذه الأسوار والأسلاك
متحركة ، تحمل في رأسها عيوناً ترصد تحركاتنا وهمساتنا وتعد

علينا ضحكاتنا وتحياتنا فلا نتنفس بحرية ، ولا تتلاقى أعيننا إلا
صدفة ، ولا تتصافح قلوبنا المعلقة بأطراف أصابعنا ، فتخاف أن
نقف متجاورين ، وأن تتعانق أنفاسنا شوقاً ، وأن تتمازج أثوابنا
توقاً.

حببتي علنا إن أزعنا هذه المخاوف تسقط كل السدود والموانع
المصطنعة ، تسقط كل المبررات ، وتتدفق في حياتنا مياه الحياة ،
فتعود ضحكاتنا وأحلامنا ونشوتنا بالحياة .

جنة السابلة

حين تغنين للسابلة من كلّ لون ، أنكفئ ، وينكفئ النصل على قلبي .

مالي الألق الكلمات الجائفة على شفئك ، مالي الألق النرف فيك ، وأستحثه عله يساقط لونه القاني على نسيج روعي فأحترق.

مالي الألق المسافات التي تفصلني عنك ، والصور الفائرة في جلدك ، والعمر المنقضي هباءً.

لكم حلمتُ بامتزاج أنفاسنا ، يا عجرية من أرضي المعلقة على حدود العطش.

لكم حلمتُ أن يديك واحتان من ألقٍ وروحي طير عشق الصحو والسكون في مساحات انسيابك الحنون .

من دمي المتجذر في رحم الوقت والطين والتاريخ المتخثر تخلّقت خيالاً يعزف بقيثار الهروب إلى الجنان المستحيلة ، أبدأ تحلمين بالقادم من الأيام وأبدأ أحلم بعينيك تصافح الأمنيات الحزينة.

وقلبي تملؤه الثقوب ووجهك ، وقلبي تعصره الزرقة المنتشية ، الملوحة الخائبة والاضرار الغائب ووجهك .

لماذا تهدين ذكرياتك القاتلة إلي ؟

لماذا تكشفين لي عن كلّ الأسماء وتطلبين مني الانحناء

والصلاة في معبد الصمت والرضا ؟

عجينة أنا من دم ولحم وروح ، قالب أنا من أسى أعياء

الاصطبار ، إليك نُذِرْتُ وإليّ نُذِرْتُ فما التقينا إلا صدفة

كالغريبين ، كالعابرين هذا الزمن العجول.

اصطفيتك لأحلامي منذ أن حكّت العجائز الباقيات والأمهات

والآباء العظام عن طفلة الشمس الزاهية ، وعن القمر الحزين

الذاهل بالنوافذ العتيقة.

عن الحبارى التي جاءت كالخصوبة للأرض الجرداء ، فخافت

من عيون الصقور التي افترشت حوش الدار .

أين أنتِ من كلّ هؤلاء الذين يخطرون كالذباب كالجراد كالموت

المأفون ، يسلخون جلود الجواري ، ويطأون الأزهار الجميلة ،

ويغرزون الرايات بالصدور ، يقبلون الشعور ويحزون الرقاب

بالنصل الملوّث ؟

أين أنتِ من حارقي الألفاظ في محرقة الأيام الكئيبة وبائعي

الأحلام الصفيقة للعدراوات من كل لون وجنس ؟!

فيض

حين أَرَدُ فيضَ صَدْرِكَ ، تَخْضِلُ الزنابقُ التي زَرَعْتَهَا على
شفتَيَّ ، وتغار شقائق النعمان الرابضة على صدري .

لِمَ تعوجين الكلماتِ الواصلة بيني وبينك ؟ لِمَ يَنْهَارُ سَقْفُ
البوحِ ، ويستعصي عليكِ الفهمُ ؟

لِمَ تتحول الألفاظُ في عينيك إلى أَلغاز وتهاويم منيعة ،
تسورها الطلاسُ ، وهي بهجة القلبِ ، ورقصة الروح المسكين ؟
ياذوب نفسي ليت أني لم أكن .

ليت أن الطرقات لم تَلدَنِي يوماً ، ولم تعرُش بسكينتها على
روحي .

ليت أن النوافذ التي تركها جدي لم تفغر فاهها للضوء المنسرح .
ليت أني لم أَقِفْ على أطلالِ الأيامِ أندبُ حظ الأوقات التي
لامستني ولامستها ، فأوغلتُ وأوغلتُ .

ماذا تبغين من مجروح خَلَفَتْهُ الأنفُسُ مطروحاً ، لاذ بالسكينة
عَلَّها تهبهُ حَفَنَةٌ من سلام المنكسرين ، وتوق المسجونين للتحليق
خارج الأسوار ؟

لماذا تفتشين عن وله سرقة الكواسر من قبل ، وعن عشق
بحجم البحر ، خنقته الجنيات وأخفيه في فانوس تتوقد ناره من
زيت المحبة ؟

لماذا تتبشين الأوجاع ، تحاولين التقاط الممكن من الأفراح ،
وتتقافزين كالفراشة من لظى اللهب ؟
أخاف احتراق أجنتك ، أخافُ انتقالَ العذاب إليك ، وأخافُ
ما تلده الأيام القادمة .

مذبح

الريحُ معقودةٌ بعينيكِ وبورْدِ الشَّقَّتَيْنِ ، تُغْنِي
غناءً مغولياً عند كُلِّ مساءٍ .

فَتَخْضِرُ الزوايا والظلالُ والطرقُ المستهامةُ
تتراقصُ أشجارُ السدر ، تتهادى أسرابُ الطيرِ
وتخفقُ أجنحةُ الحمام .

في أيِّ جُزءٍ مِنْ جوانحي أَخْفِيكَ ، أَلَمْلِمُ
أطرافه وأحتويك ، وأُمُوهُ الآثارَ التي خَلَفَتْها بروحي ؟
أنتِ يا قِطْعَةً وحشيَّةً تَتَرِيَّةً ، ما أَلَذَّ مشاغباتِكَ .
نَزَوَاتِكَ إِذَا ما وَعَتْ طريقها إِلَيَّ ، ما أَضْنَاهَا إِذَا
ما تَاهَتْ ، وتركت جراحاً بحجم المجرات ، وتركتني
كسفينةٍ غارقةٍ محطمةٍ الأضلاع .

خطاي تقودني إليكِ كضحيةٍ في مذبحِ يومكِ
أنتِ يا والهةً دون وَلَهٍ ، وداليةً دون قطافٍ ، وقمرأ
لم يكتمل عمره ، وكوكباً لم تتشكَّلْ وديانه ولا
أنهاره ، ولا أشجاره ولا أطيّاره ، ولا جباله ، ولم

يكتسِ بالألوان والغناء والطيوب ، ولم يتزياً
بالطقوس والغيوم ، والناس واللغات ، والبراكين .
أنتِ يا جمرة لم تتَّقِدِ إلا في ذاتها
متى يتطاير الرماد ؟

صديقي

هل تَظَلُّ صديقي أيها الحزنُ المقيمُ بعينيها ؟

هل تَظَلُّ صديقي ؟

كفارسٍ يَمتطي صهوةَ حلمٍ ضبابيٍّ حبيب

كفارسٍ يَتَقَلَّدُ سيفاً من برقٍ غريب

يهوى به على زهرة رُوحِي ، وينثني كقصنٍ رطيب

هل تَظَلُّ صديقي أيها الحزن الحبيب ؟

وتبقى جِواري ، متمدداً كالظلالِ

مسترخياً كأنشودةٍ في فمِ ظمآنٍ

أو كالشُّطَّانِ

كقوقعةٍ تتنَّاءبُ ساعةَ خفقِ أجنحةِ النوارسِ

كأشعةٍ لا تُبَحِرُ .

هل تَظَلُّ صديقي ؟ ولك أن تصرخ في المدى

تعالِي يا غيمةً شاردةً

أنا الحزنُ سيد هذي المَرايضِ

سيد هذي القيعانِ .

لك أن تدعي ، ولك أن أسمعك

هل تظلُّ صديقي أيُّها الحزنُ ويظلُّ بابُ الأسي موارباً ؟

تتسرب الأفراس منه محمَّلةٌ بالصمتِ المتكلمِ

بالهمس المتوتر؟

يداك حاملتان كأس الدَّمعِ ، نذور الأنفس الخائبة

تستقبلان أنفاس الوحدة والسَّامِ

هل تظلُّ صديقي؟

ويظلُّ وجهك ملازماً وجهي ،

وخطوك ملازماً خطوي .

نُحدِّقُ في الرتابة التي تمرُّ بيننا

وتبني في سماء الوقت عرشها الجليل

متقابِلان ، متتافران ، والمدى يُهدِّدُ الظلمة في حجره

البنفسجي

يُطعمُها حليبَ الحرفِ الساكن .

هل تظلُّ صديقي أيُّها الحزنُ المجلُّ ؟

لكي يمكننا أن نحتسي فتجانينِ

من شاي مجلِّ بالنعناع

وَأَنْ نَأْكُلَ قِطْعَةً مِنْ خَبْزِ هَذَا الْمَسَاءِ
نَهَبَ ابْتِسَامَاتِنَا لِمَنْ يَبْتَغِي الْفَهْمَ
وَيَسْأَلُ عَنْ بَوَابٍ لَمْ تَغْلُقْ
عَنْ صَبْحٍ مَعْطَرٍ بِالتَّسَابِيحِ .
هَلْ تَظَلُّ صَدِيقِي أَيُّهَا الْحَزَنُ ؟
وَنَظَلُّ نَحْذِقُ لَعِبَةَ الْحَدِيثِ الْهَامِسِ بِلا كُلِّ
نُرْمَزُ الْفَاضِلُنَا
نُثَوِّرُ أَفْعَالَنَا ، وَنُدْحَرِجُ الصُّورَ .

احتشاد

النوارس

حديث القلب

يحدثني القلب ، والبحر ذو الوجه الساكن
عن توحش الرياح في الأعماق وعن ديب لغة لا أتبيّن لها
عن شيء ينمو كالصبار في حلق البحر ، يتشكل في صدر الموج
المتدافع
وأنا يحجزني البرزخ ، يقيدني فلا أنفك أعيد إشاراتي وأردد
تعاويذي
مَدَدُ يا أهل القاع ونساكه مَدَدُ يا أهل البيت المفتوح على ذاته
فتضيع إشاراتي
مَدَدُ يا غيمُ، يا ريح
يا وجوهاً وأفئدة تلتحف البحر ، يا أصدافُ
يا مجاديف العشاق التائهة ، ولا صوت ، لا يدُ
تنتشل الغريق.
آه ، ليت أني ما هدمت سدَّ حاضنتي ،
ليت أني ما مزّقت قشرة الكفن الهامد على جسدي ،
ما ولجت عتمة هذا المدى الموشى

بالألفازِ

ليت أني ما استهضت هذا البحر

وما حَدَّثْتُ هذه الغيمة الكثيبة الزائرة موسمنا اللاهب

يا أنت ما الفرح إذا لم تملأنا بهجة وحشية

ودفق من حب نورانيّ ينفذ من مساماتنا ،

فيحيل الطقس المستذئب إلى

عصافير مجنحةٍ ، محوَّمةٍ ، راقصةٍ ، وغناءٍ ،

وفرش يلذ له الاغماء على شفاهنا .

يا أنت ما الفرح إذا لم نتجرد من لحمنا

المضفَّر، المكتنز بالإعياء وبالتبَلَدِ

إذا لم نخلع أثواب هذا الجسد ونلقينا للريح .

إلى أين تخبُّ الجياد؟

ما للجسد يَشِفُّ عَنْ ضَوْءٍ كالحريق، ينثالُ من

عروقي ومن مسامات ثوبي، فإذا بي أجفل

أُطْلِقُ رُوحِي للطير

وإذا بالنخيل ينشب أظفاره في عيني ، فإذا هي

برقٌ من كلماتٍ وحداء .

وما لي أسائلُ الوسائدَ التي خَلَّتْ من وجهك

عن ساعة انسراكٍ وَعَنْ ملامح الوجه آخرَ مرّةٍ

وهل هَلَّتْ دَمعة من النفسِ أم لاحت الفرحة في تقاطيع

الروح .

يتنازعُني مطلبان ، أن أسافر في تلافيف الأيام المشتجرة

وأطلق الأطيّار الرابضة على أعشاش الوقت

فتصرخ أفراخها وتلوذ بتراتيل الذكرى وأدعية العودة ،

وأنا ماضٍ لا يشيني إلا

نفور عزمي أو عجزه.

وَأَنْ أَشَدَّ إِلَى غَيْمَةٍ مِنْ تَبَلُّدٍ وَعَتَةٍ فَأَمْسَحَ عَلَى
جِبْهَتِي حَتَّى تَخْتَقِي الصُّورَ الْمَحْمُومَةَ
تَتَشَّى فِيَّ أَسِنَّةُ الْوَلَةِ
تَتَهَدِّمُ فِيَّ خِيَامٌ مِنْ فَرْحٍ بَدَوِيٍّ
تَتَبَخَّرُ رَائِحَةُ الْهَيْلِ مِنْ شَفْتَيْ، وَتَهْرَبُ أَوْتَادُ الرُّوحِ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ.
يَتَمَلِّكُنِي سَوْالَانِ، لِمَنْ تَتَمَيُّ الْكَلِمَاتُ حِينَ
مَجِيئِهَا مِنْ شَفَقِ الصُّدْرِ؟
وَلِمَنْ تَكْتَوِي الرُّوحُ فِي كُلِّ حِينٍ؟
ذَاكَ أَوَّلُ الْأَمْرَيْنِ ، وَثَانِيَهُمَا ، إِلَى أَيْنَ تَخْبُ
الْجِيَادُ حِينَ ارْتِحَالِهَا ؟ إِلَى أَيِّ الثُّغُورِ تَتَجَه ؟

صفصافة

آهٍ ما أقسى اضطرام النفس على هوى

لا تبلغه

أنت يا وردة يومي المُعَذِّبِ

ما أحلى ثاياتك في ذاكرة الأمس

وما أحلى ثاياتك حين تحتدم

اللوعة في فؤادي .

كم عانقت صوراً من أيام جمعتنا

في أيامي الشحيحة هذه ، واستجديتها

ألا تزول ، ألا تُخَلِّفَ فراغاً بحجم الكون .

كم عَذَّبَتْها حتى تخنَع لي وتترك زمام

تفاصيلها لي ، فأضيف إليها

من رغبتني ولوعة أيامي صوراً أخرى

كلمات أجمل وأعذب

إلا أنها لا تتفك تهرب كما الطيور الفزعة

كما الورود التي تقتلعها الريح

كما صفصافة جردتها الأرض
من الماء القراح فعادت خشباً.
كما قمر ازورّت عنه الشمسُ فعاد لاشيءَ
إلا الموت بألف عين باردة مطفأة.
هي أحلامي التي نزلتها من بحر أيامي
وهي أنت ، يا من تتشكلين كما الغبار
وتتبدلين كما الفصول
فلا أقبض إلا على غيمة عجفاء
وحجرٍ كلسيّ
وسوسة غادرتها الحياة.

ازرار

شفة كالشمس إذا انفلقت، تلوذ بالصمت ، تستعذبه ، وتعلي
هامة للظنون.

تعشق الآهات حيناً ، تطاردها . تمسك بتلابيب أجزائها
وتلويها .

تلونها بالبنفسج ، بالأزرق الغامق ، وترخمها ، ترققها ،
وتطلقها تجاه المدى فينحل ويهوي .

شفة لا تشع بالكلمات.

ما أرحب الألفاظ إذا انهمرت
ما أطيبها في هدأة النفس.

الكون موشى بالكلمات

الليل موشى بالكلمات

الأيام حبلى بالكلمات

والأوقات تعشق انقضاءها في فجر الكلمات.

الأجساد تتشابك أجزاؤها بالكلمات

تلتئم جراحها ويقوم بنيانها ويعتدل اعوجاجها بالكلمات.

والألفاظ وقود الروح ساعة السأم.

تراكيبٌ محكمةُ السبك ، نوافذٌ مشرعةٌ ، أمواجٌ تتلاطم ،
نسائمٌ رياحٌ عاشقةٌ ، وعصافيرٌ ما ملّت غناءها

أفراسٌ تلهبُ الأرض بحوافرها والنهار بجباها .

فلماذا تزوّرُ الشفاه عن الكلمات ؟

لماذا تقيم سداً بينها وبين الألفاظ المبتوثة في كل شيء ؟

ولماذا ينطلق الصمت كالمارد يأكل الأعمار ؟

هذا الصمتُ غضبٌ أسود ، أعاصير ، غاباتٌ ميتةٌ وأنين
مكتوم .

هذا الصمتُ مرعبٌ وغريبٌ ومعذبٌ، ينهشنا كالموت .

دَفْقَة

تتادي الموجةُ دَفَقَها ، موجة تلو موجة ، تتنادى طيَّات الليل ،
والضباب ، والمجهول ، والهدوء الرتيب المخيم على الألواح
النازفة .

تتصايح النوارس والرياح ، والأشرعة المثقلة بالهم ، وحواريةُ
البحر الفاتئة تصيح بالبحار العاشق أن تعال إلى أحضاني ،
وعانق الحلم المضمخ بالسحر .

تعال إليّ يا فارس المحار والردى ، فعوالمى حياة الخلود
والصحو والألق .

ياليلُ يا واهنَ السُّرى ، أشعل تباريح المعنى ، وعطر المدى المبهم
الموشى بالوشوشات .

يا نديَّ الصَّبَابات هذا أوانُ العذابات
هذا أوان الولادة الثانية .

تعال أريك ما لا عين رأت .

تعال فأنا الذكرياتُ الناشبة أظفارها
في تلافيف ذاتك ، وأنا التي ما فتئتُ

تراوح ما بين وَجْدِكَ وَنَزَقِكَ
وأنا التي وَسَّدْتُكَ شَعْرًا مَنْسُوجًا بِالمِشْمُومِ ، عبقاً بدهن العود ،
زنداناً وجيداً رحباً ، يَهْبُ أَمْنًا ، وشبعاً من بعدِ مَسْغَبَةٍ .
أنا التي نسجتُ الليلَ مِنْ حكاياتي
من عبق الممالك النائمة في أعماق المجهول .
من تواريخها الناهضة في الوجدان
فتعال أغذي شرايينك ، وأنسج
داخلك برزخاً من وجدٍ مضاء .
كان الصوت يملأ روح البحار المسكين
كان يصطدم بعروق السفينة الواجمة ،
والعيون المسهدة والأجساد المتناثرة
كان الصوت حلماً ، واقعاً ، ممتزجاً بالسحر .
لم يطفئ ظمأ البحار ، إلا دفق ماء البحر دفقة تلو دفقة .

إجابة

حين سألْتِي، أين أنا من كُلِّ تلك الوجوه
التي ترسمها فتتهضها من داخلك ؟
لماذا لا أرى نفسي في كلماتك، هل بي كُلُّ هذه
الصفات ؟ هل أثقلتك حزناً وألمتكَ ؟
كنت أعلم أنك ستسألين ، وأنت ستبحثين عن وجوه أخرى
تتاوش حياتي المتعبة
وأنت ستلاحقين الأخريات في تلايف عذباتي ،
وأنت ستقبعين داخل حدودك الوهمية
تكتفين بالتكهن والظن والتوجس .
تحلمين بالمستحيل ، وتجلدين اصطباري وكلماتي
تتلاءمين مع الأيام والأوقات القاتلة
والزمن العجول ، تلهثين في طلب لا شيء .
وأنا أراوحُ ما بين المدِّ المنسكب من عينيكِ
والجزرِ الحائر في صدرك .

فلا أنا أثبت ولا أيامي

تحترق في مشاعري ،

تتعرى بوجهي أجفاني ، وتتكسر في عيني دموعي

حين سألتني ، أيقنت أن الجدران الباردة التي تحيط بك ، قد
فعلت فعلها .

أن الأوقات المشحونة في حياتك المنسربة قد غلفت
أحاسيسك ، فما عادت تعيش التوهج ولا تحس احتراق المشاعر .
أيقنت أنك لم تعي يوماً ما عنته الكلمات ودلت عليه الألفاظ ،
وأنك استمتعت بفعل البوح ، لا بصدقه ، وإلا كيف يتلاقى
العطاء والمنع ؟ وكيف يمتزج الجفاف بالاخضرار ؟

ارتداد

حينَ تميلُ نَفْسُكَ عن الهجوع ، وتستأثر بالصحو المتاح ،
حدثني عن ارتعاشات الجفنين ، عن رحلتها ما بين العزم ،
والوسنِ العالقِ بأطرافهما ، عن ارتداد القدرة للأعصاب الخائرة.

عن استرجاع الصور الباهتة ، ملامح العابرين الضائعة في
بوتقة عينيك وبطانة جفنيك .

عما تفعله الأضواء الباهرة ، الأضواء المنكسرة ، الأضواء
المنفطرة ، وعن التين المنبطح داخلك.

حين تميلُ نَفْسُكَ وتزهّد في معرفة الأيام وتواريخها ، حدثني
عن ألم الماضي في الطريق دون الإحساس بقيمة الأبواب المرسومة
على الطرقات ، المغلقة على النفوس المتوقدة.

وحين يتناولُ داخلُك البوح فيشق صدرك ووجهك ونفسك
نصفين ، وتحرق الكلمات مرتين ، مرة في البوح ومرة في النوح ،
وحين تبسقُ الأشواكُ من لسانك فتدمى أطراف المعاني وتسد
ثغرات حلقك ، أرسم تفاصيل ذاتك ، خطوط سير القوافل على
ثوبك ، تاريخ مولدك ، بُرجك ، عنوان قابلتك ، مُرضعتك ، والقبيلة

التي آوتك ، ودفعتُ عنك الضباعَ والأسدَ والثعالبَ والليالي المظلمة
، والعطش ، فلريما تغنمُ فكَ طلاسِمِ الأشياءِ التي عبرت المكان ،
ولريما تستحثُ الطيور التي هجرت أن تعود لتبني أعشاشها على
كتفك ، وأن تُغذي أفراخها من عينيك ورأسك.

نورستي

يا حزنأ يسكن في
يا رحلة غريبة معذبة
أخاف الرحيل بك وإليك
فلا الطريق واضح الملامح
ولا أشرعتي تمتلك الشجاعة.
جندت آلاف الكلمات معي لتكتشف
الطريق وتفض مغاليق الصور المبهمة.
تعلمني الممكن والمستحيل، فلا أجهل
الدخول إلى مملكتك
وتبسط لي الكائن والمكنون
فتتعرى عن أسرارها الأشياء
أستوي على عرش المحبة.
استعنت بكل الخرائط والقصص
والأساطير القديمة فلم تُعني.
حملتي حور عين ، كنَّ يذُنْ عنك الدخلاء.

فلا أنا بالثابت ولا بالساكن
ولا أنا بالسابح الهائم ، أستقر
كما الطير ، وأسبح كما الجبل .
أخرجت دفتر الأشعار المسحورة
والتعاويذ البدائية ، قلت علّني إن استعنت بسحر
الشعوب ، وأقنعتها ، أناتها ، أغانيها ، ورقصاتها ، زدت معرفةً
وعلماً .

فلم تزدني بكِ
إلا جهلاً ووهناً وحيرة .
تعبت أجنحتي ولم تتعبي .

ظلال

حين تتباعد المسافات بيننا ، تنزروحي أشواقا لها رائحة العود .
ساعة احتراقه .

كيف لي اصطناع الحلم والولوج في تفاصيله ، وأنا ما احترفت
الاصطياد ؟

كنت كمن غاب طويلاً ، فصحت النوارس ذات صباح لتجد
وجهاً صاغه العناء يحلق معها في فضاء الشواطئ .

كنت كمن أعياه السكون ، وأضناه الترقب لما لا يأتي .

من أين لي بتقاسيم تزيل الحيرة وتشد أوتار نفسي فتصقلها ،
فأدرك أمكنة تجليك ؟

لا تثبت الظلال على حال ولا النور على حال ، وهذه النوارس
لا تمل التمني كروحي .

لا تعقد صلحاً مع الأمكنة ، تلاحق الوهم أنى بزغ ، سادرة في
حلمها اللانهائي ، وكأنها أدركت عناء روعي فأشرعت أشرعتها
واستطالت مناقيرها لتشرب من فيض وجدي .

سألتك كيف نجتاز الحنين إلى التلاقي

كيف تتثال الحكايا حين تبطل المآقي

وكيف يفتال الأحمر المجنون أطرافى،

فتبترد الروح وتتهمر المراثي.

سألتك هل انتقضنا لحظة الميلاد

واستوينا على أسرةٍ من دماء

أم دارت الأرض حين استدرنا

حين اندفعنا

حين امتزجنا في الخفاء

أم حين نَزَّ الملحُ من أطرافنا

ففدا الشوق طير المستحيل.

احتشاد

قابعٌ في زوايا الدهشة المُرّة ، تَحْتَشِدُ الأوقات والظلال معي ،
تحتشدُ السفائنُ، الرياحُ، القلوعُ ، وحوافرُ الأيام المهترئة تحت
ثوبي ، تحتشدُ نباتاتُ القرمِ اليافعةِ وطيورُ الفنتيرِ البيضاء في
عينيّ.

تحتشدُ السواحلُ بأحزانها وهمودها.

يحتشدُ النهامُ بأوجاعه ، الفواص بأحلامه وديونه وسلسال
قيده.

تحتشدُ البحارُ بقواقعها و(دَوَلِها) ونجومها وأصدافها وأعشابها
وخيولها وأسماكها الصغيرة ، والمحارُ بخوائه ودمعه.

تحتشدُ البحارُ بشهيقها وزفيرها ، بعدائها لكل شيء ،
بسطوتها ، برحابتها، بحنوّها. تَمُدُّ هوائمها وعوالقها إلى ، تَمُدُّ
جنونها وعفونتها وفسادها إلى.

عظيمةٌ هي البحارُ وأعظم منها مَنْ أسالها ، وملأها وصيّرها
جنوناً وسلاماً ، حياةً وموتاً.

الفنتير : طير الفلامنكو

نَوَل : قنديل البحر .

عظيمةٌ هي البحارُ ومُعَذِّبٌ وجميلٌ احتشادها معي ، و فيَّ .
صخبٌ وسكونٌ يغازلان الفجرَ ساعةً تتفَسُّ في وجهي وأرخی
حباله وتمطَّى .

مَنْ ذَا يُرْجِعُهُ لاحتشاده ١٥

من ذَا يشيه وَيَعْقِلُهُ بعقالِ الدهشةِ والتأمل ١٥

مَنْ أَنْتِ ؟

ما لهذا المدى يتفتقُ ، وَيَنْفَلِقُ .

ما لهذه النفس تموج كبحر ضلَّ طريقه في غيابك .

تحدثني النوارسُ عنك كل حين ، وتستحثُّني .

تعلق نداءاتها ، فرحها ، ونشوتها على بروز طيفك .

تسدُّ الآفاق عليَّ ، فلا منفذٌ إلا إليك ، لامعبرٌ إلا إليك . وَأَنْتِ

، مَنْ أَنْتِ ؟

برق لاح ، زنبقة آثرت الهجوع ، صرخة لذ لها السُّكوت ،

فزاوجت ما بين الفعل واللا فعل ، غياب رمادي مقيت .

لِمَ أَنْتِ نبتةٌ عوسج حينا ، ورحيق وردة حينا ؟

لِمَ أَنْتِ بنيانٌ مُصنَّعٌ يصعب الدخول إليه حينا ،

ومدى رحبُ الأرجاء ، ترقص به البهجة وينتشي به الزمن

حينا ؟

لِمَ أَنْتِ فرح الأوقات التي مضت ، وحزن الأوقات التي لم تأتِ

بعد ؟

أَنْتِ ، يا أَنْتِ

أنهارٌ خرافيةٌ لم تُخلَقْ
أوديةٌ نباتات استطالت
اخضرار لا يمسه اليباس
جبالٌ مستكينةٌ
فراشٌ يلحق الصَّحْوُ،
ضوءٌ بشباك يضيئه الاشتياق.
أغانٍ من وَلَهٍ جَبَلِيٍّ
حذاءً في خيمة وحيدة بصحرائنا المقفرة.
وأنت لا شيء من ذلك كُلِّهِ.
حلمٌ يصعبُ تفسيره ، وكوكب نَفَضَ عَنْهُ ثياب الحياة.
مَنْ أَنْتِ ؟ يا أَنْتِ ، يا كُلَّ الغياب
يا كُلَّ الحضور.

أقدار

قالت حين مدّت ذراعها تجاه الريح وانثالت دمة:

أنا ما اخترتُ تفاصيل وجهي، ولا قسماتي المطفأة.

ما اخترت مساحات الحزن الرابضة تحت عينيّ ، وما نسجتُ
خصلات شعري، ما أسهمت في بنيان جسدي ، ولا قلبي ، إنما
اخترت أن أحياك ، أن أحبك ، أن أعيش تفاصيلك أنت .

أن أحلم بأن الصور المبتوثة في الألفاظ النابضة لي ، أنا من
تمتلك مفاتيحها وأسرارها ، أنا التي أوقدُ مرةً ناراها ، وأطفئُ مرة
لهيبها .

أسبح مع النوارس في شطوطك الحائرة ، وأستلقي في موانئك

تصافح عيناى المدى الذي تراه والشمس الغاربة

فأنسجُ الصور لك ، أطرزها بالممكن من اللون الفاتح، أتتبع
خطوطك وحالاتك، وأعيد ترتيب الأوراق والألوان.

لماذا لا ينحسر صمتك ؟

لماذا لا تحمل لي ما أحمله لك من مشاعر ؟

قالت وقالت ، فحملت الحسرات ، وأشفقت ، فأنا لا أملك
نفسي ولا أملك كلماتي ، وأنا ما اخترت أيضاً أفراح قلبي ولا
عذاباته ، وما اخترت ليالي ونهاراتي .
ما اخترتُ خطوي
ما اخترتها .
هكذا كان .

الجسرة

يا أنت يا كُلَّ المدى المنقلت أشجاناً وحباً ، لماذا يصطبغ المساء
فيك بالحزن حيناً ، وبالرغبة في واقعة الفرح الطفولي حيناً ؟

حين تنفتح بوابات الذكرى ، أجْدُك تلهبين ظهر الخيول
المنطلقة نحو أيامنا هذه.

فتخطين رسماً ملوناً من توقٍ على سروجها ، تشعلين النار
تحت أقدامها .

تعمدين الطرقات التي نحب بالوَلَّةُ ، تتفضين عنها الأتربة ،
تمهدينها ، تسوينها كأسرة لأطفالك المشعثين ، لأطفالك الحالمين
بالضياء ، والأثواب البيضاء ، والمرايع الخضراء.

الحالمين بالحنو والمحبة ، والأزهار.

لأنَّك أدركت منذ الزمن الأول أن الجفاف ، واحتباس الأمطار ،
وارد في سجل المفاجآت.

لأنَّك أدركت أن الأيام حبلى بالواردين ، بالطارقين أبواب المكان
، باللصوص ، بالمتسلقين ، بأوجه لا تعرف طعم الخجل ، ولا معنى
المحبة ، الصبر ، العمل ، ولا تعرف المكان ولا تفاصيله ، من أين

يبدأ ، ولا إلى أين يسير ، ما حجمه ، من يحلق في أجواءه ،
ويسبح في محيطه ، من يغذي أيامه ويرويها ، من يحلم باصطياد
نجومه وأقماره .

ولأنَّك أدركت أن أطفالك سيشيرون تواقين لجلد المستحيل آثرت
رسم تفاصيلهم ، وسبر أغوارهم ، وزرع المواقيل فيهم ، والطيبة ،
والفرح المجنح ، والحلم في ثيابهم ، في طرقاتهم ، في شايفهم
الذي يشربون ، في مقاهيهم التي يلوكون الضجَر فيها ويفنون
أفراحهم وأحزانهم على كراسيها .

في المراكب التي تشاغبُ الرياح ، وتحلب الأرزاق .

يا أنتِ ، يا أجمل الذكرى ، تعودين لي محمَّلةً بالنوارس التي لا
تمل التمني ، لا تمل الغناء .

تحريض

يستحثنا وقتنا الذي لا ندركه أن نخطو تجاه الضياء

أن نمحو من ذاكرتنا كل الآلام ، الأحزان ، الخطايا ، الهفوات
الصغيرة ، أن نحترث داخلنا ، أن نبذر الأمل ، ونصلّي ، نصلي ،
نصلّي ، حتى ينهمر مطر الرُّوح ، فتتفتق البذور ، ينتفض
الأخضر ، يتناول ليعلن صحوتنا المرتجاة .

يستحثنا يَوْمُنَا الذي لا نعبره ، أن نفهمه وأن نُغنيهِ أغنية في
الصباح ، وأخرى في المساء ، أن نغطيه وندعو له بالرحمة ، أن
نقرأ عليه ، أن نتقي فيض حلمه ، وأن نعبّرهُ تجاه الفجر القادم .
فما الذي يبقى الأسى في أعيننا ، والبكاء في الصدور ،
والخور في الجسد المريض ؟

ما الذي يجعلنا نرفع الرايات الحزينة على مراكبنا ، ونُعلّق
أرواحنا بالصواري ونطلقها تجاه الشطوط الغربية ، فيستقبلها
الهمجيون بالطبول المجنونة ، بالرماح المسمومة ، بالنيران الموقدة
تحت القدور ؟

لماذا نخرج أرواحنا المعذبة ونقدمها هدية للمجانين والجلادين
والمهووسين بجمع النفوس البشرية ؟
لماذا لا نفيق ونجلد رغبتنا المتوحشة في بذل ذواتنا وأحلامنا
وأمانينا للفرقاء والسابلة ، والصوص ؟

جنون

مرحى لطقسنا الجنوني ، مرحى لنا حين نخلع ثوبَ التعقل
ونلوذُ بجبال الدهشة المشتهاة.

ما أجمل ارتدادنا للبراءة، للزمن الأول ، قبل تشكُّل وعينا ،
قبل أن تُسمِّرنا القوانين والمثل ، قبل أن نُصلَّبَ بالواجب والممكن
والمفروض ، قبل أن تهترئ ذواتنا من الجلد.

ما أجمل أن نعود كالصفحة البيضاء. قبل أن يشوها الحبر ،
وتقتلها الرطوبة ، قبل أن تنهشها الأيدي والأعين ، قبل أن
تدهسها الأرجل ، قبل أن تكون طعاماً للنيران أو طعاماً للأماكن
الرطبة وللحشرات من كل نوع.

يا لهذه النفس ، يا لعذابها الذي لا ينتهي ، يا لصهيلها الذي لا
يهدأ.

من أين لنا ببذور خضراء نزرعها في هذا اليباب الذي يقبع
في داخلنا ، ويمتد، حتى يخنق فينا الأمل ويطفئ الميرون
ويسري لنا بالعجز ويمنحنا صك الموت البطيء ؟

أحلامنا ما عادت زوادة لنا في لهيب أيامنا هذه ، ما عادت

تروي الظماً ، ولا ذكرياتنا التي جفت كينابيع مياها ، ما عدنا
نستقي منها إلا الجفاف ، نتداوى به ونصفه للمرضى المحزونين
فيزيدهم حزناً ، ويحيلهم هياكل من وهن.

لعل الرحيل شفاء.

أم ما أقسى الجفاف ، في الزمن الضنين.
وما أحلى الجنون ساعة مولده في الذات ، فلا ممكن إلا هو،
يحيل الأيام الأليمة إلى صفاء والوعي المُعذَّب إلى التلاشي.

لغات

من زيد

عتمة

في العتمة تكتسب الروح مساحات من وجد مضمّن

في العتمة تستيقظ آلامي

وأحس أن هذا العالم الموحش

يمضي لبطن حوت

عابراً جسراً من أشواك تدمي .

في العتمة يلذُّ لي أن أهزج وأن أهذي

كساحر إفريقي محموم .

أن أنقرَ جلدَ الطقس الليلي

أن أتمدّد بطول الروح

وعرض الجسد على سرير الألفاظ

أن أكون غير ما أنا ، غير ما خبرت ،

أو ما عملتُ .

في العتمة ، تقف الظلمةُ في مُواجهتي

معمّرةً أرياشاً مُلوّنةً لطيور من أرض خرافية

تقف الظلمة تَمُدُّ أيديها الألف ، أعينها الألف

ومناقير لا تحصي ، تنهشني فتسيل

الروح من ألف ثقب في جسدي .

في العتمة يتطاير البوم من أعين الطقس

المخلق، وتصطفي الأحاسيس متاعبها

جراحاتها ، أوقاتها المنسرية .

■ أيها المساء القابعُ

خلف أسوار الروحِ

هيء لي الليلة حقاً من كآبةٍ

ومُرّة من جروحِ

وشيئاً من عذابِ

جليلٍ ، جميلٍ

دمعاً لحوحِ

تتادى ، تصايحُ في مدى الطقس المراوغِ

كالذئبِ ، كالضباعِ

وانهش القلبَ الجموحَ .

امراة

أن تكتب إلى امرأة وتكتشف أنها ذئب، تلبست
ثوب الحسن والنفس الزكية والعفاف ، فذاك هو العذاب
أن تعتقد أنها شجرة مثمرة ، ضريت بجذورها في جسد جبال
صماء لا تتضرب ثمارها مهما هزرتها.
فإذا هي مثل نبتة شيطانية هشة حملتها الريح معها
في أول زيارة مفاجئة ، تلك هي الخيبة.
-المرأة قيثاره ، ووترٌ يحب أن يسمعَ
الآخرون ألحانه ، وترٌ متوجُّ بالألق.
-المرأة لحن كوني رائع النغمات ، يستمد
من هذا الفضاء العظيم أسرارهِ وإيقاعهِ.
فإذا لم تفهم المرأة ذلك ولم تعه ، ماذا تتحول ؟
- المرأة نهرٌ حليب يضرب أطنابه في ضلوعنا ، فيحرك فينا
ألفاظنا المسحورة ، ألفاظنا المتفجرة .
نهر يدفع إلى أرواحنا بآلاف الصور، آلاف الخيالات ، فنلهج

بحمد نعمائه ، ونقدم له القرايين ، نذبح في حضرته أرواحنا حتى
يقبلنا في زمرة عشاقه .

المرأة كلمات مسحورة حُبست في بئر مطمورة ، ومن يخرجها
ويلحنها ويفنيها ، ويحفظها في صدره ، تدفئه في ليالي الشتاء
الموحشة .

فإذا تحولت المرأة إلى خنجر أو سهم ينطلق إلى صدرك في
صمت وخسة ، عليك أن تقسح له الطريق كي يمر إلى الظلام .

بُوح

بوح أول

حينَ يفازل هذا المد الموجعُ أحاسيسنا ، نجد أنفسنا في
مواجهة الضياع ، وحين تحجب الغيوم الحملة بالفضب أشعة
الدفء والحياة ، تعترينا البرودة إلى حد التجمد ، فلا يطيب لنا
البقاء ، تملؤنا رغبة جامحة في الهروب إلى شواطئ أكثر دفئاً
وقلوب أكثر صدقاً ، إلى موج أكثر اعتدالاً ، وبحار أزخر عطاءً.

حين يفازلُ المدُّ الموجعُ أحاسيسنا لا نجد إلا الكلمات ، تبتثق
من مكانها المستقلقة ، فتتشرقلوع الصحو ، لا نجد إلا الكلمات
، تثير لنا الدروب المظلمة، هي الفاتحة والمالكة. بغيرها تزداد
لزوجة الأشياء ، يزداد طنين التفاهة من حولنا، فنعود لا نرى.

بوح ثان

صَدَّقْتُ أَنَّ التِي رَسَمْتُ

تواريخَ الفصولِ مرةً

رَقَصْتُ على جسدي

خاطتُ جهاراً كَفَنِي

صدَّقْتُ أن التي اشتَهت أَلَمِي

باحث للبوْمة عن سِرِّي

للضَّبَعِ عَن وَهْنِي

للَّيْلِ عَن خَوْفِي وَعَن حَزْنِي.

زَيْدٌ

أحس هذا المساء ، أن طعم الليل القادم بأثوابه الوبرية ، كطعم
زبد البحر الذي غزا وجه الأرض ، فأفلت جنوده ، من تلك
المخلوقات الصغيرة السلطعونية ، لتحفر أخاديد تستكين إليها .

هذا الزَّيْدُ الذي يقدم نفسه إليك فلا ينتهي إلى أحضانك ،
أهيجانٌ هو أم اضطرامٌ ذات البحر ، أم لغاتٌ من زَبَدٍ ، رسائل ما
كشفنا كنهها ؟

هذه الأصوات الموقعة ، تُجَرِّجُكَ وراءها وتستلبك ، ثم تقذفك
واهناً ، تحضنُك وتدفعُك قريباً لتعود إليها .

لماذا تهاجمنا ذكريات مالحة ، فالتةٌ من إसार الوقت ، فتحلق
مكرهينَ معها ؟

ما معنى أن نحلم بالنجوم التي انتفضت فلم نقبض عليها ،
وبالأقمار التي تسلقنا ليلاً سدرتنا لنصل إليها ففُزَّتْ من بين
أكفنا الغضة ؟

ما معنى أن نحلم بالأماسي التي لم نروها ونشبعها ، فروت من
البئر التي دُفنت بحوش بيت جدِّي العتيق ، وشبعت من رائحة خبز

جدتي الذي أطعمتنا إياه بالحب تارة وبالزجر تارة أخرى فعبقت
رائحته في الذاكرة ؟

من يملكُ الصحو ، فيهدي لي حفنةً من ضوء ، من بهجة أيامنا
الفائتة ؟

فأشعل هذا الليل ، أمدّه جسراً لصبح يتكسر في عينيَّ
حقلاً من كلمات تخضّر متى مددتُ يدي إليها .

بيان في الولة

جريتُ حين عَزَّ الفهم عليك وعلى بعض من يتنفس قرب
الألفاظ أن أحوطك وإياهم بلغة مستباحة ، لغة لذَّ لكل الألسن أن
تلوكها ، لغة عادت هذراً يومياً وطقساً لا تحكمه البلاغة ، جريت
فلم أستطع ، وجريت فلم تطاوعني اليد ولا الصدر ولا اللغة
نفسها .

جريت فغضب الخيال ، والصورة المجنونة استجارت بالضلوع ،
ودعت فرسانها لردى عن عزمي ، استجارت بهواي وشغفي وولمي
وجنوني بك ، وأقامت مأتماً لي وناحت وبكت ، فماذا أنا فاعلٌ مع
ذاتي ؟ وماذا بيدي أن أفعل مع الكلمات والصور التي أعرف ،
والتي استوطنتني وأقامت لها صرحاً بداخلي لا ينهدم ، ولا
يستبدل بقش وصفيح ومواد مستهلكة ؟

عذبتني أسئلة الذين لا يفقهون شيئاً عن معنى الكلمات ،
والذين لا يدركون معنى الصور ، والذين لا يحبون ، والذين طمروا
قدراتهم على التخيل والحلم في أرض لا تفقه لغة الاضرار ،
فماذا أقول ؟ وماذا أكتب ؟

هي أسئلة مشروعةٌ لهم ، وأيضاً من المشروع لي أن أسأل ماذا
تقرأون ؟ وماذا قرأتم ؟ وأين دفنتم قدراتكم على الفهم اللذيذ ؟

وهل أنتم ممن أحبوا بصدق ، وممن عانوا لظي البعد وقلة
الزاد من المحبوب ؟

وهل ملكتم يوماً فهماً ووعياً ما ؟ هل جريتم فض مغاليق
الصور المشتجرة ؟

فإذا كان كذلك فلا بد أنكم ملكتم يوماً أيضاً قدرة على
الشعور ، ورسم صور داخلكم لمحبوب ، ووردة قبل ذبولها ، ووطن
بعيد أو متخيل ، وأرواح معذبة أو فرحة ، وأشجار وأشياء كثيرة ،
فلماذا تعجزون عن خلق علاقات بين كل ذلك ، وعن رسم صور
خاصة بكم أنتم لا بي ؟

وأنا على يقين من أن الكثيرين يملون من الصور المستباحة
والمكررة والمطروقة ومن أن الكثيرين يملكون القدرة على الإحساس
الصادق والفهم الواعي والقدرة على التخيل الجميل ، ويسعدون
حين يجدون كلمة جديدة يضيفونها إلى قاموسهم ورصيدهم من
الكلمات والصور.

وأقول للذين لا يفهمون إنكم ببساطة تتخلون عن أنفسكم ،
وعن قدراتكم وعن شيء جميل هو القدرة على الفهم وعلى
التخيل ، فماذا أنتم فاعلون ؟

غرناطة وأنتِ

حين وقعت عيناى لأول مرة على بيت روخاس الشاعر
الغرناطى (غرناطة جنة مغلقة أمام كثيرين ، حدائق مفتوحة أمام
قلة) تصوّرتَه يصفك ، وتصورّرتى من القلّة المحظية بالرضا ، هذه
العابثة بلذّة ملكية بزهور جنتك وأنهارك ووديانك ، المسحورة بغناء
طيورك ، المتكئة فى ظلالك ، السابحة مع تبدّل فصولك ،
وتصورّرتى القلّة كلها ، لا أحد سوى يريض على صدر هذه الجنة
ويقضم تفّاحها ويعصر برتقالها ، تصوّرتى أول الوالهيّن
وأخِرهم ، أتسرب مع تدفق الدماء فى شرايينك ، وأطلع وردة
حمراء من قلبك لا تذبل أو تموت.

أنا الينابيع ، تعرف منى كل ورقة خضراء عنفوانها وبهاءها ،
تسافر الرياح فى أرجائك عاقدة برأسها لواء محبتي ، لابسّة وهج
عينيّ ، ومنتضيةً الفاضلي.

إلا أنّ وجه نورس (تشيكوف) يغمش وجهي ، يزعق ، يحزن ،
يوقظني من أحلامي (إنى وحيد فى هذا العالم ، لا حبّ يدفئني ،
أشعر بالبرد ، كأنى فى قبو، ابقى هنا ، أتوسل إليك).

هنا نتداخل ، نتاسخ ، يتلبّسنى ، أتلبّسه ، يتألم ، أتألم.

هى لحظات ، بل ثوانى ، تلج فيها الرصاص الملعونة دماغينا ،

صدرينا ، وتوقظ الدنيا المخدرة من أمد.

لذة هو الألم ، إذ ما قبل ، لا يشبه هذه اللحظة ، وما بعد
سيكون حلماً.

ومضة وينتهي المشهد المؤلم بظلمة.

لماذا قفزت هكذا في حلمي اللذيذ هذا ؟

لَمْ أوقدت نار عذابك ، واستعذبت حرق جنّتي الحاملة الوالهة ،
وركزت فيها بيارق الغدر ؟

آه يا غرناطة ، يا جنة مغلقة

ليتي من قلة القلة،

ليتي القلة،

والأوحد المستظلّ بظل لا يغادر أبداً.

أَتَعْلَمِينَ لِمَنْ ؟

لِمَنْ تَتَشَكَّلُ غَيْمَةٌ فِي النَّفْسِ وَتُمْطِرُ تَمَائِمَ ، الْفَازَا ، أَحَاجِي ،
وَتَسْتَهْضُ أَلْفَ خَاطِرٍ ، أَلْفَ حُلْمٍ ، أَلْفَ أَمْنِيَةٍ ؟

لِمَنْ هَذَا الصَّبْحُ مَعْقُودٌ ، كَمُهِرٍ جَامِحٍ لِلتَّوَمَنِ بَطْنِ الْيَبَابِ ؟
وَهَذَا السَّحَابُ ، وَهَذِي الْهَضَابُ لِمَنْ تَحْنُو أَضْلَاعَهَا وَتَتَهْدَمُ ؟
لِمَنْ يَسْتَدِيمُ الشَّدْوُ وَيَنْغَلِقُ ؟

لِمَنْ هَذَا الْعِبَابُ ، يَضْجُ فِي النَّفْسِ تَتِيناً مِنَ الْأَفْرَاحِ وَالْأَحْزَانِ ؟
لِمَنْ هَذِي الْعِنَاقِيدُ الْمِضَاءُ بِجِيدِ الشَّمْسِ ؟

لِمَنْ كُلُّ هَذَا الْيَوْمِ ، كُلُّ ذَاكَ الْأَمْسِ ؟
لِمَنْ أَسْرَابُ الْقَطَا وَالظُّبَاءِ وَهَذِي الْخِيَامُ الْمُسْتَلْقِيَةُ عَلَى خَاصِرَةِ
الْبَدْوِ تَتَادَى يَوْمَ اسْتِفَاقَةِ الْهَيْلِ فِي اشْتِعَالِ الرُّوحِ ؟

لِمَنْ ارْتِحَالُنَا وَانْثِيَالُنَا فِي الْبَطَاحِ ؟ لِمَنْ أَشْعَارُنَا ، بَكَوْنَا عَلَى
الْأَطْلَالِ ، وَبَحْثْنَا عَنِ الْأَحْزَانِ فِي أَعْيُنِ الْخِيُولِ الْلَاهِثَةِ ؟

أَتَعْلَمِينَ لِمَنْ يَا وَرْدَةَ النَّهَارِ النَّدِيَّةِ ؟

يَا لَيْلِنَا الْمَشْتَقَ لِلْحَدَاءِ ، يَا لَوْلُونَا السَّاكِنِ أَحْضَانِ الرُّوحِ ، يَا
عَقِيقَ الشِّفَاءِ الْلَاهِجَةِ ؟ لِمَنْ هَذَا الضَّجِيجُ وَالْفُورَانُ بِجَسَدِ
الصَّحَارِيِّ الْلَاهِبَةِ ؟ أَتَعْلَمِينَ لِمَنْ تَنْزُو الْأَعْيُنُ مِنْ مُحَاجِرِهَا وَمِنْ
اسْتِكَانَتِهَا الدَافِئَةِ ؟

ليل بلا قمر

الليل في مدينتي

بلا وجوهٍ ولا أحاديثٍ ولا سمر
بلا قمر.

الليل مدفوع الثمن

حجرٌ مَيّتٌ نُصلي له بأنفسٍ غائبة
الليلُ أَعْيُنٌ زائغةٌ كفيومٍ راجفة.

الليل أبوابٌ تستقبلُ الروح

بعزفٍ حوذيٍّ ضريير

الليلُ أجسادٌ

أزقة ، ظلالٌ تتوَحَّ

الليلُ مُفَتِّحُ الرحيل إلى مدائن لم تبين بعد .

إلى أحلامٍ وقلوبٍ لم تجرح بعد

إلى نفوسٍ لم تسلب بعد .

الليل مدائن بلا عيون .

يا ليل يا ضحكةَ امرأةٍ ضيعت مسراها

ساعة تجرّعت قهوتها الملعونة بين الصباح.

يا أنّة ذئبة باحت للذئب بسرّها

فغلّق النوافذ وأسدل على البكاء غيومَ الوعود

وفقاً عين القفل بالمفتاح لئلا تهرب الألفاظ وتقضح المدينة.

يا ليل يا سكينة تجزّ أعناق المنتشين

أعود إليك مع أول بزوغ حزنك

وكأنني طفل ما غادر طفولته اللاهية.

أستطيع الآن

أستطيع الآن إيقاد ضوء صباح قادم ، جزء يسير
من مدى مغلق يتكور على نفسه خيفةً .
وإيقاظ نوارس شواطئ الخليج من حيرتها .
أستطيع الآن إطلاقها لتتهش عين الشمس .
أستطيع الآن تفجير الظل الساكن أعماقي
وبناء شرفة مزينة بالورود ، أو مرفأً
للمراكب التائهة ، أو حصن أو حضن للأوجه الباكية .
أستطيع الآن أن أحلم بالياسمين
وبشفئك مجردتين من الظلم والمنّة ،
ممتلئتين بالأحمر الوهاج ، نافرتين ، متوحشتين
وبذراع تحوطني حين يدلهن خطب الوقت ،
وتغدو أذرع الناس غريبةً .
أستطيع الآن أن أستخدم وجهي وعيني
وابتسامتي وأصابعي ، وأن أتكى على
تاريخ يُبنى من اليأس

أن أنظرُ إلى وطنٍ ييزغُ من عينيك بعيدُ نضارة
حكايات البحار الشريدة

تفاصيل الوجوه العنيدة ومواويل الأرواح المعذبة.

أستطيع الآن أن أقف في وجوه الصحاري

الجديدة ، أستطيعُ رفض صلاتها وكسر وثها

وإحراق خيامها ، وثقب قُبَّتْها.

أستطيع الآن أن أغني لبلادي ، لامرأة

في عينيها تتصبُّ الأشرعة المتعبةُ

في عينيها تغني أنجمُ البحر ، وتحكي الأسماك خرافتها.

وتطير في عينيها ملايين النوارسِ

ملايين الغيمات الصغيرة.

أستطيع الآن أن أتوتر كما أشاء،

أن أهدأ كما أشاء ، وأن أطلق ضحكةُ

في وجه الليل المكابر.

تحية

تحيةٌ إلى وعد يغرفُ مِنْ رُوحِي ، يزلزلُ الأعصاب ،
يظل يستشري كما الضياء ، كما الحريق ،
يزدهي كما أقحوانة أو بنفسجة مشتاقة للقبَل.
تحية إلى المساء الذي لا يأتي ، تحيةٌ
إلى الندى المستحيل ، وألف ، ألف سلامٍ
يا نفسُ إلى جمر يعي عذابَ الوجد ، شوقَ العليل.
تحيةٌ إلى البهجة والوجوه التي تمرُّ
ضاحكةً ، أو عابسةً ، أو راکضةً
تسأل الشمس عن وجوه موسومة
بالخجل ، وبالخوف.
عن سماءٍ مُطرزةٍ
وأراجيحٍ وغيمٍ يلاحق ثعلباً ، عن وردٍ
خلع لونه وفرَّ مع الأصيل.
تحيةٌ إلى كلِّ الصباحات ، إلى كلِّ العيون التي
تبصر ، وترسم الفرحة فيها.

تحيةً إلى الرطوبة التي نتنفسها ، وتقرّد جناحيها
على مساءاتنا ، تحضننا فلا نفيقُ إلا على التعب.
تحيةً إليكِ يا عارفةً وجع المشتاقِ ، مدركةً ومحركةً
مواقع نجومى وتقاصيلَ جنونى ، جنوحى وسكينتى.
يا ممسكةً حبلَ أفراحي وأحزاني.

أيُّها الأمازوني

أيُّها الواهَبُ عينيهِ للشمس
يطيب لي أن أحْييك تحية المدى
للاخضرار والبساطة والدهشة.

أيُّها الواهَبُ قرطه للأمازونية المستلقية
على سرير الفجر النابض، اشدد إليك
جذع الخصوبة وتمدّد في سماء الفتة
وغنّ للأماسي الرطبة

للبحيرات والبعوض والتماسيح الشرهة
والأطفال البعيدين ، هناك في المدن
الفارقة في جحيم الملذات.

أيُّها القائم على نعيم الأرض ، تزيّا
باللون النابض ، وانثر بهجة النّفس
على جبين اليوم

فالיום يعدو للبحيرات الموحشة
ينسرب للغابات في خطو لا يقبل

للكهوف المشبعة بعرق الأجداد العظماء.
للكريات الناضحة دماء الآباء.
أيُّها الأمازونيُّ المتفرد بعذاباتك
يا ابن الأشجار ، يا ابن الطيور المبهجة
ماذا في يديك الآن من أسلحة
تسلُّها في وجه هذا العالم المعدني ؟
بماذا ترَوِّع الأنبياء التي تستبيح لحم أرضك ، وتطفئ شعله
روحك من أجل حفنة من أحجارٍ تلمع ؟

سَلَمَ هَذَا الْمَدَى

سَلَمَ لِلشَّمْسِ هَذَا الْمَدَى
سَلَمَ لِلنَّهَارِ الْوَلِيدِ ، مِنْ وَرْدَةِ
الْبَارِحَةِ
هَـا أَنَا الْيَوْمَ أَنْفَضُ الْكِسَاءَ الْبَلِيدَ
أَغْنِي عَطْرِكَ الْمُنْبِعْثُ مِنْ مَسَامَاتِ
الْجَسَدِ الرَّاعِشِ
أَوْقَعُ الْفَاضِي الْوَاضِحَةَ
أَتَمَلَّى أَطْيَافَ الْحُضُورِ الْمَتَوَثِّبِ
فِي الْمَكَانِ .
أُحْصِي كَمْ ضَحْكَةٍ لَكَ سَارِحَةٍ
سَلَمَ يَتَمَدَّدُ
يَتَطَاوَلُ إِلَى الْغِيْمَةِ الشَّارِدَةِ .
سَلَمَ يَعْبِقُ بِالْأَحْلَامِ الْخَضِرَاءِ
وَحَطَّوْهُ يَهَبُ لِلْغِيْمَةِ الرُّوحَ

والروحُ زهرةٌ تآقت لأنفاسِكِ المُحرقةُ
سُلمٌ هذا المدى

ويدي تلملمُ أطرافهُ المتعبَةُ
تَلوُنُ شقاءَ الدرجاتِ المعذبةُ
سُلمٌ يُحدثُهُ الفراشُ المهوومُ
ينثرُ بهجتهُ
المحببةُ.

وأنت سيدتي
تتقافزين من غيمةٍ والهةٍ عابثةُ
إلى غيمةٍ راكدةُ
تبتتين في هذا المدى
قصرَ بهجتك الحاملةُ
وأعشاشَ الطيورِ،
اليمامِ ، الحمامِ
تغنّين لغةَ النهارِ الوليدِ
للوجوهِ المرسومةِ في الغيمِ

تَفَنِّينَ أَشْعَارَ الْمَمَالِكِ
الذَاهِبَةِ
وَتَخْطُطِينَ مَسَارِبَ لِلرُّوحِ
تَخْطُطِينَ الْفَاظِكِ
الْوَاهِبَةِ

أراني

كم تضطهدني الليالي وتهمي عليّ من كآبتها وحزنها ما يعجز
صدري عن تحمله ، فيتركها تحفر فيه وتخط ما يلذ لها من أغان
تتريه وأهازيج بابلية ، ورموز لا أعلم كنهها ، ورسوم لقبائل بادت ،
وأخاديد تقود إلى القلب.

آه يا بهية الطلّة ، حين يهمني الليل عليّ كسفينة تائهة بأشرعة
سوداء ، وقراصنة مدججين بسيوف متعطشة للروح ، يتراءى
طيفك ماداً يديه للفريق، منادياً إيتاي .

تعال إليّ أيها المضيّع قلبي ، فإني غضرت لك سوءاتك ،
وأنزلتك منزلة لا تبارحها .

تعال إلى صدر يشتهي وجهك ، وشفة تشتهي وجدك .

تعال إليّ يا قاتلي ، فقد أضناني الموج الدافق بي وأكلتني
الرياح والأشرعة المحملة بالضياء والفقد .

حين يتراءى طيفك ، لا أعلم أيّ أرض تحملني

أيّ أغنية أرّدد ، أي دعاء ينطق لساني

وأراني ، لا كما أراني ، أراني طيفاً يغادرُ ثوباً

ورباحاً تتوزع في أركان الأرض

أراني عصافير ، أجنحة تخفق بلا أجساد

وجيادا تخبّ في مدى يخضرُّ

أراني

ماذا أراني ١٩

لا شيء في مكاني، إلا دفقة من وجدٍ ينبض ويتأوّه.

استجداء

أستحثُّ الآن وقتي الذي أملكه أن يفتح مغاليق وقتي الذي
أجهله ، أن يلج بي عتمة لم تُدرَكْ ، ولغات لم تُلفَظْ.

أن يجلسني على مرأى من مشهد من فضةٍ وذهبٍ شفيفين.

أن يوقظ لي كُلَّ الأفراس الوسنانة من مراقدها

وأن يطلقها شواظاً من حمم في خاصرتي أو حلقي

استحث الآن أزمنة تجاوزتني وأرواحاً قاسمتني

تفاصيل ما أملك من دفعٍ وحشيٍّ

أن تترك شأن البوح إليّ

ألا تمنعني عن فيض ما أملك ، وعن حبس ما اخترنت.

أستجدي الآن لغة فرّت كالصقور الهجينة ، ألا تفضحني

أن تعيد سبر قاماتها ورسم أرياشها ، وقص استخذائها.

وأن تعيد نفسها مني ومن مهجةٍ عزفت على أوتار فنائها.

أستجديها أن تنسى أسماء علمتها وأبياتاً لقنتها ، وأدمعاً

سقيتها ، وليالي كشفت لها فيها ما أكننت ، فغلب أمر المتيم
ستره ، ونبذ شوقه فكره.

استجدي الآن في يومي هذا خطوي الذي لا ينثني ، أن يعي
مزالق أمسي ، وعثرات غدي.

أن يدفع عنه الأشواق ، أن يحبس نزقها ، وأن يثقب أشرعتها ،
أن يسمرها عند حدود أمسه ، أن يوقف أسنانها الشرهة عن أكل
عمره.

استجدي نفسي ألا تلهب نفسي!

طقس

ما الذي يبقيك خارج طقسي؟

وأنا أشتعل ، أتداعى كسدرة

هزتها ريح الشمال

كنورس مكسور النفس عليل.

ما الذي يبقيك خارج طقسي ؟

وطقسي رجيم، غضوب ، جاف ، عطش إليك.

تتداعى عليّ غيوم اللغة ، يتكور الفراغ مع تكور جسدي.

وحين أنهض، تستيقظ كل الأحرف النائمة منذ (هوميروس)

معلنة إضرابها عن سبك المعاني ، والاستمرار في التكور.

أنت فتنة اليوم المراوغ ، ونجمة الوله المتعب ، فارفعي حجب

البعاد الضارب أظنابه على مساحاتك الخضراء ، وهزي إليك

جذع أيامك ، دعي الأوراق تأخذ بهجتها ورونقها ، وتستفيق من

غيوبة فقد الفيث.

انفضي عنك كل الأوراق النحاسية ، تجددني ، ومدي كل جذر
فيك ومنك تجاه نهيرات الحياة بي .

دقق من روح جذلٍ يتخلق في سماء طقسى .

دقق رواء ، ورد الأنفس الحيرى ، وبهجتها ، يتخلق ويستعر .

بيانات خاصة بالمؤلف

١ - مزن / ديوان شعر / ٢٠٠٣

تحت الطبع :

استفاقات بجسد الروح / شعر

المحتويات

● حيث تختبئ النجوم

٩	■ إليك في المجرات التي تحتويك
١٣	■ هناك تختبئ النجوم
١٧	■ ليتني
١٩	■ عيناك
٢٢	■ فزع
٢٣	■ برج متقلب
٢٤	■ زهرة برية
٢٦	■ طلل
٢٧	■ أمنية
٢٩	■ آهات
٣١	■ وهن
٣٣	■ عجز
٣٥	■ لغو
٣٧	■ أهازيج
٣٨	■ احتواء
٤٠	■ نخيل القلب
٤٢	■ بهجة

٤٤	■ ذكرى
٤٦	■ بي حنين
٤٨	■ نجمة
٥٠	■ لا ترى إلاي
٥٢	■ المبعثرة في ليلها
٥٤	■ ليت لي
٥٦	■ أرى في الحلم
٥٨	■ في الفياء
٥٩	■ من أنتهر الساعة
٦١	■ وضوح
٦٢	■ يا عين .. يا ليل
٦٣	■ في حمى العرش
٦٥	■ أسئلة
٦٦	■ آخر الأوقات الطيبة
٦٨	■ هذا أوانُ الصهيل
٧٠	■ عطر التوق
٧٢	■ حدثني خيالك
٧٤	■ الليل
٧٦	■ الليل (٢)
٧٨	■ الليل (٣)

٨٠	■ أسوار
٨٢	■ جنة السابلة
٨٤	■ فيض
٨٦	■ مذبح
٨٨	■ صديقي
● احتشاد النوارس	
٩٣	■ حديث القلب
٩٥	■ إلى أين تخبُّ الجياد
٩٧	■ صفصافة
٩٩	■ ازورار
١٠١	■ دفقة
١٠٣	■ إجابة
١٠٥	■ ارتداد
١٠٧	■ نورستي
١٠٩	■ ظلال
١١١	■ احتشاد
١١٣	■ من أنت
١١٥	■ أقدار
١١٧	■ الجسرة
١١٩	■ تحريض

١٢١	■ جنون
● لغات من زيد	
١٢٥	■ عتمة
١٢٧	■ إمراة
١٢٩	■ بوح
١٣١	■ زيد
١٣٣	■ بيان في الولة
١٣٥	■ غرناطة وأنت
١٣٧	■ أتعلمين لمن؟
١٣٨	■ ليل بلا قمر
١٤٠	■ أستطيع الآن
١٤٢	■ تحية
١٤٤	■ أيها الأمازوني
١٤٦	■ سلم هذا المدى
١٤٩	■ أراني
١٥١	■ استجداء
١٥٣	■ طقس

٨١١.٦ سنان عبدالرحمن المسلماني .
سحائب الروح / سنان عبدالرحمن المسلماني .
الدوحة : المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث
٢٠٠٣ .
١٦٠ ص : ٢٤ سم .
رقم الإيداع بدار الكتب القطرية : ١٠٨ / ٢٠٠٣
الرقم الدولي (ردمك) : ٨ - ١ - ٥٨ - ٩٩٩٢١

رقم الايداع بدارالكتب القطرية

١٠٨ / ٢٠٠٣ م

المجلس الوطني
للثقافة والفنون والتراث



مطابع الدولة الحديثة

ص. ب. ١٤٥ - الدوحة - قطر - تليفون : ٤٨٠٣٤٠٤

صَدَّقْتُ أَنَّ التِّي رَسَمْتُ

تَوَارِيخَ الْفُصُولِ مَرَّةً

رَقَصْتُ عَلَى جَسَدِي

خَاطْتُ جَهَاراً كَفَنِي

صَدَّقْتُ أَنَّ التِّي اشْتَهَتْ أَلْمِي

بَاحَتْ لِلْبُومَةِ عَنْ سِرِّي

لِلضَّبَمِ عَنْ وَهْنِي

لِلْيَكِ عَنْ خَوْفِي وَعَنْ حَزْنِي.

7
9



0599662